العلم الثقافي

المدير: عبد الله البقالي
سنة: 55
سنة التأسيس: 1969/2/7

الخميس 9 من ماي 2024

10 ، شارع زنقة المرج حسان الرباط
Bach1969med@gmail.com

هذا العدد

خاص بالأديب والمعجمائي المغربي الكبير عبد الغني أبي العزم

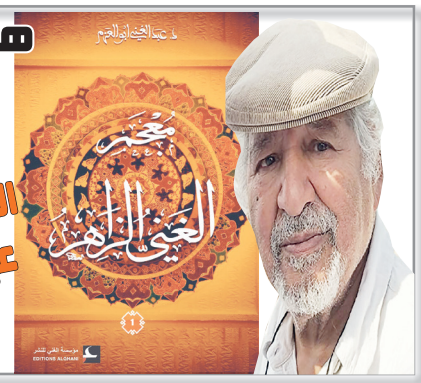

أزْهَر المُعْجم على يَد أبي العزم!

لم يكُن أحدٌ سواها من صَعد أدْراج مبْنى الجريدة إلى الطابق الأولَ، وكأنّها من فرْط ما سافرت في الذاكرة بتاريخها الشّخصي الثقيل، صَعَدتْ عوض الأدْراج كي تصل إليَّ حيثُ أقْبع بين الأوراقَ في مكتبي، سبْعَ سمَاوات طباقاً، قد يتساءل حائرٌ، مَنْ تُراها تكون هذه الزائرة التي أتَحدث عن شخصيتها الثائرة على الأقل في قلمي، بصيغة (مَنْ) للعاقل وليس (ما) التي تستطيل بأذنين طويلتين على هامَة كل جاهل، إنّها لُغتنا العربية مَنْ جعلني أنتفض مُنتصباً من مقْعدي، كيف لا وأنا أنظُر لكل شموخها يقف أمام مكتبي بمقرِّ العمل، أوْمَأتْ لي بالتحية من مسافة أحرف لا تكفي للنَّبْس بجملة مُفيدة، فأوْمَأتُ بتحية أفضل منها مُوسعاً ذراعيَّ للعنَاق، ولعنْتُ في خاطري كل البيروقراطيات التي تُمْليها النَشوة الزائفة للمكتب، ثم أقعدت لغتنا العربية بجلال قدرها، مكاناً سَنيّاً قريباً من القلب !

ولكن مَنْ تكونٍ هذه اللغة العربية الأوسع في بحْرها اللّجي عن كل وصف، هل أبالغ إذا قلتُ إنّها تجسَّدت هذه المرّة كما يتمثّلُ المَلائكة في البشر، في أحد عُشّاقها المُنافحين عن معانيها المفْقودة، إنه جامع الدُّرر الأديب والمُعْجَمائي المغربي الكبير عبد الغني أبو العزم، صاحبُ «الضريح» و»بعيدا عن الضريح» و»هكذا حدثني المنفى»... الذي أيْنع على يديْه الكريمتين مُعْجم اللغة العربية وأزْهَرْ!

لقد قيل كل شيء، ولم تعُد اللغة العربية من شدّة ما تُثخنها الجراح، تحْتمل عملية شدِّ حبْل اللسان بالثرثرة، لذلك استمر الحديث معها أقصد مع أبي العزم صمتا طويلاً، ولكنّه محفوفٌ بفهْم عميق يُغْني عن سرد الأعْطاب، فنحن نعيش في زمن لا يرْطن إلا بأنْكر الأصْوات، حتى اختلط الأصل بالمُهجّن، ولمْ تَسْلم اللغة العربية مما يُسوِّسها من الداخل فرونكوفونيا أو أنجلوفونيا، بدعوى مُواكبة التطوُّر التكنولوجي،والحقيقة أنها من اللّدونة والإبداعية التي تجعلها تُطوِّرُ نفسها بنفسها مُتجاوزة كل الأعطاب، غير مُتخلفة عن روح العصر في كل العلوم والآداب !

ما أحْوجنا اليوم لرجال أفْذاذ كأبي العزم أمدَّ الله في عمره، يُهاجرون سرّاً أو علانية اللّغط البشري، ليس على سبيل الاستعلاء المُتسنم لأبراج عاجية أو قرون نعاجية، إنما التماساً لخلوة مَع اللغة العربية يُراودها عن نفسها أو معانيها لثلاثين سنة، يا أ الله ما جَدوى كل الكلام الذي يطفو بغُثاء الزّبد مُلوِّثاً صفاء الأمواج، وقد خرج أبو العزم من خلوته مع اللغة العربية منتصرا بمعْلمة خالدة اسمها «معجم الغني الزاهر»، ما جدوى كل الكلام وقد أصبح الصّمت أبلغ في أربعة مجلدات، أوَ ليْس يستحق كي نظفر بلؤلؤ مُصفى في معجم، أن نضع أيادينا في الجمر ونزيد في الفحم!

حين باغتني باسماً في مكتبي بالجريدة، لاحظتُ أنّه أضاف على غير العادة، لخُطوتيه خطوةً ثالثة تتجسدُ في عكاز أنيق، لم أصدِّق، أنا الذي لم أعْهده من الأصْداء الإعلامية التي تصلُني، إلا نشيطاً مرحاً غير مُتثاقل يُسابق أجْنحة الكلمة، فعزوتُ الأمْر أنّها ليست أفاعيل السنين أو تفاعيلها الراقصة بين التّعب والخَبب، ولكنها مُجلّدات المعجم قد ناء بكلْكلها عاتقُ أبي العزم، وأنّى التثاقل ممّن يعدو خفيفاً مُواكباً كلماتنا ليَشْرح صدورنا قبل معانيها، أنّى تُدْركه السنين بفرْدة أو فرْدتين، وقد تجاوزها بروحه الاستَشرافية الوثّابة، عساه يقبض بمعاني جديدة على أهْبةِ التشكّل في رحِم المفردة!

لو يعلم زمني الثقافي حجْم الخدمة الأدبية والعلمية التي قدّمها عبد الغني أبو العزم للغة العربية، هي أضْخم من مُجرد شرح كلمات بمرادفات تجعل المعنى يسْتبدل كالعروس شكْله بأفخر الثياب، أكْبر من مُجرد محْو أمِّية ألفبائية بقاموس أو مُنجد طُلاّب، بل لزمَني الثقافي أن يفخر لأنّ الجيل القادم يسْتطيع أنْ يفُك بمعجم أبي العزم، عُقْدة لسانه وهو يقرأ بمفاتيح اصطلاحيَة جاهزة، كتاباً في العلوم الإنسانية ينتمي للمُستقبل، أو يقْرأ ربما ديواناً حظّه غير عاثر، دون إحْساس بنقْصٍ في المشاعر !

محمد بشكار

رسائلهم إلى أبي العزم

الزعيم المرحوم محمد بوستة يقدم درع التكريم للغوي والأديب الكبير عبد الغني أبي العزم بمؤسسة علال الفاسي سنة 2015

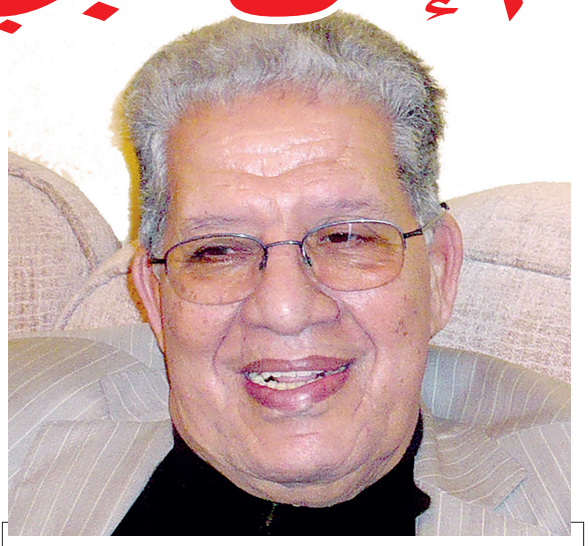

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد الكريم غلاب
عضو أكاديمية المملكة المغربية
زنقة بني مطير، السويسي
الرباط

الرباط في 17 دجنبر 2014

حضرة الدكتور عبد الغني أبو العزم المحترم
مؤسسة الغني للنشر
18، زنقة البريهي
الرباط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت، بيد الشكر، في بداية الصيف، نسخة من مؤلفكم القيم والمتميز «معجم الغني الزاهر». ومن قراءة مقدمته -الجامعة والمفيدة- وتفصح موضوعاته، أدركت قيمة المجهود الذي بذلتموه في تحضير هذه المعلمة وإخراجها على أحسن وجه وأحدثه إلى الناطقين باللغة العربية والكاتبين بها لتكون مرجعا موجها سليما جامعا لكل مضامين النصوص العربية.

وقد عبّر لي هذا الكتاب عن المجهود الذي قمتم به نيابة عن المثقفين المغاربة جميعهم خدمة اللغة العربية وتقريبا لمفاهيمها المعقدة التي بذل الأقدمون في تذليلها للقارئ والكاتب العربي وقام بعض المحدثين بالسير على منوالهم. ولكن «معجم الغني الزاهر» تفوق على كثير من مجهودات الأقدمين والمحدثين.

والمغرب يفتخر بأن أحد مثقفيه الكبار بذل ما لم يستطعه الأولون في تصحيح لغة الضاد وتقويم اللسان والقلم العربيين في النطق والكتابة والقراءة.

أرجو لكم كامل التوفيق في الإستمرار وتطوير هذا العمل اللغوي الشاق إلى عمل جديد لتيسير ما يتعسر وتسهيل مهمة القارئين والباحثين في اللغة العربية.

مع صادق تمنياتي لكم بالتوفيق والنجاح.

عبد الكريم غلاب

محمد اليازغي

الرباط في 22 فبراير 2016

عدد 16/17

إلى الأستاذ عبد الغني أبو العزم

تحية طيبة،

سعدت بتوصلي بهديتك الثمينة "معجم الغني الزاهر" وأشكرك غاية الشكر على هذه الالتفاتة الأخوية الصادقة.

ولا يسعدني إلا أن أهنئك على العمل الجبار الذي قمت به لبناء هذا المعجم وهو ما أعتبره النشأة الأولى لمعجم عربي بالمغرب.

لقد توفقت في اقتفاء آثار المعجماتيين العرب بما فيهم الأندلسيين وجئت بالجديد باستعاب "معجم الغنى الزاهر" لعدد هائل من المعارف والشواهد، مع توظيف المناهج العلمية الحديثة وبسجل لك التاريخ أنك صفت أداة من أدوات نهضة لغتنا الوطنية في القرن الواحد والعشرين.

مع كامل المودة والتقدير.

محمد اليازغي

زنقة آيت سعود السويسي-الرباط
الهاتف: 0537752426 - البريد الإلكتروني: mohamed.alyazghi@yahoo.com

De : PARTLETT, Joanna [mailto:Joanna.Partlett@oup.com]
Envoyé : mardi 9 juin 2020 13:37
À : maazm@menara.ma; ghaniaazm@hotmail.fr
Cc : amtee2011@gmail.com
Objet : Oxford Languages
Importance : Haute

Dear Mr. Abdul Ghani Ahmed Abu Al-Azm

It appears that our email sent yesterday was intercepted by the automated translation software from my email provider and corrupted beyond recognition. Please accept our apologies for this system error. Below is the email we intended to send. We would be honoured to hear from you

تحية طيبة وبعد،

نتمنى أن تكون بخير ونأمل أن تستقبل هذه الرسالة. حصلنا على عنوانك من قاموسك (معجم الغني الزاهر).
دعنا نقدم لك أنفسنا: (تريسي أرتس) محررة تنفيذية للغات العالمية، و(جوان بارتليت) رئيسة المصادر الاستراتيجية والشراكات في قسم أكسفورد للغات من مطبعة جامعة أكسفورد.
مهمة أكسفورد للغات كونه مقدم المحتوى الأكثر ثقة للغات في العالم.
نكتب هذه الرسالة للاستعلام عن قاموسيك (الغني) و(الغني الزاهر). قد سمعنا أنهما معجمان ممتازان ومعاصران.
هل أنت حالا في شراكة لصالح حقوق هذين المعجمين الرقمية؟ وهل تود النظر في العمل مع أكسفورد للغات والسمح لنا باشتراء الحقوق الرقمية أو ترخيصها؟
من فضلك أخبرنا ما إذا كنت مهتما بهذا المشروع.

مع أطيب التحيات، تريسي أرتس وجوان بارتليت

We do hope that this email finds you well.
We gained your contact details from your dictionary (معجم الغني الزاهر 1-4).

Please allow us to introduce ourselves, Tressy Arts, Executive Editor: Global Languages, Oxford Languages; and Joanna Partlett, Head of Strategic Sourcing and Partnerships at Oxford Languages.
For over 150 years Oxford Languages' mission has been to be the world's most trusted language content provider and to work with partners all over the world to bring language knowledge, expertise, and advancement for the benefit of everyone, everywhere. You may be familiar with the famous OED which has set the precedent for the creation of historical dictionaries and its pioneering use of real-life evidence of words in context.

Our programme has gone from strength to strength with the exploration of innovative new methodologies and state-of-the-art technologies to help us monitor and analyse language development in real-time. We partner with leading academic institutions, enterprising start-ups, and technology giants to embed this content at the cutting edge of language research and global communications, powering the programmes and products that are equipping communities around the world with authoritative, evidence-based content of the highest quality.

We write to enquire with regards to your works al-Ghani and al-Ghani al-Zahir. Do you have a current partnership for the digital rights of these works? And would you consider working with Oxford Languages and allowing us to acquire or license the digital rights? Please do let us know if this is of interest to you.

Kind regards

Joanna Partlett
Head of Strategic Sourcing and Partnerships | Oxford Languages
Oxford University Press | Great Clarendon Street | Oxford OX2 6DP
Email: Joanna.Partlett@oup.com | Phone: 07717 557700

«الغني الزاهر» مشروعاً ثقافياً

سعيد يقطين

في حمأة ما يفرضه علينا واقعنا الثقافي والاجتماعي والسياسي المتردي، قلما نلتفت إلى الوجوه المضيئة التي يزخر بها ثقافيا. إذ أن الضباب الذي يلف الفضاء ردحا طويلا من الدهر، يجعلنا نحلم بضياء الشمس ونور القمر، كلما طال أمد العتمة، متناسين أنه حتى في أحلك الظروف وأقساها هناك أبدا كوى تحارب الظلام، وطاقات يتسرب منها نور الأمل، ومشاريع يشتغل بها أصحابها لمقاومة الرداءة.

لا يخفى أن المشروع السياسي العربي، وهو يهرب إلى الأمام، عاجز كل العجز عن بلورة رؤية مستقبلية واضحة. إنه يتصرف بلا بوصلة ولا استراتيجية ملموسة. يظل رهين تطور الأحداث ولا يملك إزاءها غير رد الفعل. وبما أن المؤسسة الثقافية وليدة ذاك «المشروع»، فهي بدورها تخبط خبط عشواء بلا تبصر ولا أفق لكن بعض المثقفين، التفتوا إلى أهمية التفكير في مشاريع ثقافية طويلة الأمد، سواء على مستوى الدراسة أو الإبداع، فكرسوا لها حياتهم، عبر تنظيم العمل، ومواصلته بصورة دقيقة وصارمة، بهدف الإسهام في تحقيق عمل ما يكون له أثره في المستقبل. هذا النوع من المثقفين يزخر بهم الوطن العربي الذي لم يكن يخلو أبدا من كفاءات وطاقات هائلة. لكن المؤسسة الثقافية العربية، الرسمية وشبه الرسمية، بدل أن تلتفت إلى مثل هذه الطاقات «المنطوية» تظل تستجمع حولها جوقة من المثقفين «البارزين» الذين لا يحسنون سوى تبديل إيقاعات التطبيل لحساب من يدفع أكثر. وتراهم كلما بدت مؤسسة جديدة تستثمر في الثقافة، يلتفون حولها لاقتسام الغنائم، وملء الساحة بالضباب والعتمة، وإغلاق أي أمل في المستقبل. من المشاريع الثقافية الهامة التي لم يلتفت إليها الإعلام الثقافي ولا اللغويون ولا المؤسسة، بما يكفي، مشروع «الغني الزاهر» لعبد الغني أبو العزم. منذ أكثر من ثلاثين عاما، والباحث منكب على هذا العمل بحس الباحث، وعمق المفكر، ودأب العامل. قبيل توقف المشروع الذي شرعنا فيه منذ أواسط التسعينيات، حول «مركز البحث والتواصل»، وإصدار جريدة «الكاتب» الثقافية، كان قد انخرط أبو العزم، في صناعة معجم عصري وحديث للغة العربية، موجه للأطفال والأحداث، لما رأى نقصا كبيرا في المعاجم العربية التي لا تواكب تطور اللغة العربية الحديثة. كنت أغبطه على التزامه بالوقت والجهد. كان «موظفا» مع المعجم الذي يشتغل به صباحا من الثامنة إلى الواحدة. وبعد الظهر يواصل انهماكه في العمل إلى الليل. لن تجد عبد الغني، في أي وقت، إلا في مكتبه بين المصادر والمراجع، يغني مشروعه بصبر وأناة وعشق. ورغم كل الظروف المحيطة به، وانخراطه في الشأن العام، فإنه لم يكن يتوقف، إلا لماما، وللضرورات القصوى. صدر «الغني»، بعد أن طوره ليصبح معجما عاما، ثم وسعه ليصبح «الغني الزاهر». ليكون من أوسع وأغنى المعاجم العربية الحديثة. فهو يتكون من أربعة مجلدات، ويضم قرابة 66 ألف مدخل. كما أنه يتسع لعدد كبير من الاستشهادات بنصوص أدبية وتراثية، لكتاب من كل الوطن العربي، تصل إلى حوالي 10 آلاف، بالإضافة إلى شواهد إيضاحية (رسوم، لوحات، خرائط...) تتعدى العشرين ألف. إنه معجم يتميز بسهولة التعامل معه، ويعطي للباحث أيا كان مستواه مادة غنية ومتنوعة.

مثل هذه المشاريع التي تنحت في الصخر هي التي تبقى بعد انقشاع الغمة عن الأمة. هذه الغمة التي يعمل الظلاميون من المثقفين بمختلف ألوانهم وأطيافهم، رغم ادعاء العديد منهم العقلانية والعلمانية على إشاعتها والعمل على إطالة أمدها، لأنهم لا يستطيعون العيش إلا في الظلام. فإذا كان تجار السلاح هم من يعمل على إدامة صناعة القتل، فكذلك تجار الثقافة، لا يفكرون إلا في إطالة أمد الرداءة. لكن أصحاب المشاريع الثقافية الكبرى، يعملون بصبر وطول نفس لإزالة الغشاوة، وهم يفتحون منافذ للنور الضياء. إن مشروع «الغني الزاهر» يبين بالملموس أن العمل الفردي، في غياب شروط العمل الجماعي المؤسسي الحقيقي، حين يضطلع به صاحبه وفق تصور دقيق وغيرة على الثقافة العربية، وعمل دؤوب، يمكن أن يحقق ما تعجز عنه المؤسسات التي ترصد الملايين. وفعلا حين نقارن هذا المجهود ببعض المعاجم العربية المؤسسية يبرز لنا الفرق واضحا. انسحب الجابري والعروي والخطيبي...

من ممارسة السياسة المبتذلة، ومن المتاجرة بالثقافة، وانكبوا على مشاريع ثقافية ستظل تدعو إلى التفكير والبحث. كما أن الكاتب في مجال الإبداع الفني والأدبي، يمكن أن يكون له مشروع إبداعي يكرس له حياته، ويعمل على تطويره من خلال مختلف كتاباته. ويكفي أن نعطي مثالا لذلك من نجيب محفوظ لإبراز أن المبدع العربي أيضا صاحب مشروع. وكلما كان المشروع قابلا للتطور والتطوير، ويعمل صاحبه على تحقيقه بوعي وإنجازه بمسؤولية وشغف وعمل متواصل، فإنه بكل تأكيد سيبلوره وفق الغايات والمقاصد التي يضعها، والتي تصب في اتجاه تجاوز الرداءة، وفتح كوى النور والأمل. هل لك مشروع ثقافي؟ كيف تشتغل به، وعليه؟ هذا ما ينبغي للمثقف أن يهتم به ويعمل من أجله. وكل ما هو آت قريب.

المعجم والعلوم المعرفية

دراسة في معجم «الغني الزّاهر» لأبي العزم

أ.د. عمر مهديوي
جامعة مولاي إسماعيل- مكناس

د. عزالدين غازي
جامعة القاضي عياض- مراكش

ملخص الدراسة

تهدف هذه الورقة إلى دراسة العلاقة القائمة أو الممكن قيامها بين المعجم ((Lexicon والعلوم المعرفية cognitive sciences))من خلال التركيز على التّجربة المعجمية لأبي العزم ممثّلة في معجم « الغني الزاهر»؛ وهي تنطلق أساسا من مقاربة نظرية ومنهجية مفادها أن الصّناعة المعجمية(Lexicography) ما هي إلا نموذج لساني تطبيقي، يرتكز على المعارف المعجمية للمفردات واللّغة الواصفة التي توظّف في تعريف مداخل المعجم، وهو ما يشكّل المحور الرّئيس للتّعريف المعجميّ بالمعنى العام أي تقنيات بناء النّص المعجميّ.

ومن هذا المنطلق، فإنّ هذه المقاربة، تستمدُّ جذورها المنهجية والفكرية من النّظرية المعرفية للّغة، التي تتوخّى إيجاد نموذج لتحليل وتوصيف الوقائع اللّغوية عامّة، والوقائع المعجمية خاصّة. وبعبارة أخرى، إنّها مقاربة تسعى إلى ضبط التّعريف المعجميّ في ضوء الدّلالة المعرفية(Cognitive Semantic)، مما يعني بالكاد، أنّ المداخل المعجمية(Lexical entries) ما هي إلاّ بنيات معرفية(cognitive structures) أو تمثّلات دلالية(Semantic representations) بالكاد، مما يفسّر أنّ التّرابط المنهجي الوثيق والواجب إقامته بين المعجم والعلوم المعرفية باعتبارها منهجًا حديثًا في العلوم الإنسانية يظلّ أمرًا مسلّمًا به للغاية.

الكلمات المفاتيح: المعجم – العلوم المعرفية – أبو العزم – معجم «الغني الزّاهر»

المعجم والعلوم المعرفية: أيُّ تقاطعات مشتركة بينهما؟

إذا كان الهدف الرئيس من اللّسانيات هو دراسة الظواهر اللغوية في مجملها، باعتبارها نشاطًا إنسانيًا عامًّا، فإنّ العلوم المعرفية أعادت تنظيم هذا المجال من جديد، بما فيه اللسانيات ذاتها، وذلك بالتّفاعل والانفتاح على تخصّصات معرفية أخرى من قبيل علم النّفس والذّكاء الاصطناعي والمنطق والرياضيات والمعلوميات وغيرها، وهذا إن دل شيء، فإنما يدل على أنّ الإعلان عن تمثيل المعارف وتحويلها إلى حساب و فهم سيرورات التّرميز والتّأويل والصّورنة والإدراك والتّعلّم وغيرها ما هي إلا عمليات تندرج في صميم انشغالات المعرفية واهتمامات علم النّفس المعرفي واللّسانيات المعرفية. ومن هنا يأتي تعقّد حقل الدّرس اللّساني وتعدّد اتجاهاته وتخصّصاته الهادفة إلى شرح وتفسير النّظام اللّغوي تفسيرًا واقعيًا وعلميًا، ومن ثمّ الكشف عن السّيرورة المعرفية للّغة الطّبيعية ولوقائع اللسان البشري1.

و بما أنّ العلوم المعرفية، بجميع مشاربها، تهدف إلى معالجة السّيل/ الطوفان المعلوماتي المتدفق إلى داخل الجهاز المعرفيّ للإنسان رمزيا(أي كعملية حسابية لا غير)، فإنّ التساؤل المشروع يبقى واردًا حول ما إذا كانت هذه الآلة التي تشتغل على هذه الرموز قادرة على استخلاص المعارف؟

لقد أدّى هذا الأسلوب الحسابي القائم على التّمثيل الرّمزي إلى المقارنات، مجهزًا بقوالب تحويل تدفّق المعلومات إلى رموز وقوالب قابلة للمعالجة من جهة، وللاستجابة/ المساءلة الفورية من جهة أخرى. فالتّفكير الإنساني يشتغل على الرّموز، ومعالجتها معلوماتيًا؛ ولذلك كان من الممكن تسنين المعلومات بشكلٍ قَضَوي، بمعنى آخر، تَطوير لغاتٍ تعمل وفق المنطق القَضويّ، ووفق المعالجة الرّمزية التي يقوم بها الدّماغ البشري. ومن هنا انطلقت النّظريات الحاسوبية أو قل بالأحرى علوم الحاسوب من فرضية أساس قوامها أن نظام اشتغال الحاسوب يُشبه ويُحاكي نظام اشتغال الدّماغ البشري2.

هذا ومن الملفت للنّظر أن تعود النّمذجات الحاسوبية إلى عقلانية لسانية متأصّلة في الفلسفة الدّيكارتية ومبادئ تشومسكي، خاصة مبدأ الكليات اللغوية ثم عقلانية الفلسفة الوضعية مع فدجنشتاين الذي يعتبر اللّغة مجرّد خاصّيات «علمية» أو أنها «أشكال الحياة3.

ولا غرابة-هنا- أن يكون لمفاهيم الفلسفة العقلانية الوقْعَ الكبير والأثر البالغ الأهمّية الذي سيدفع باللسانيين وفلاسفة اللغة معا إلى اختزال العمليات اللّغوية في أشكال من العمليات الذهنية، وهذا الإختزال لا يعني تمثيل «اللّغة الذهنية» المستقلة عن اللغة الطبيعية كما يقول فودورFodor، لأنّ هذه «اللّغة الذّهنية» أشمل وأعمُّ من اللّغة البشرية الّتي نتواصل ونحيا بها؛ إنّها عبارة عن كلّية تُجَمع السّيرورات الدّماغية والذّهنية عند الإنسان، ومن ثم فإنّ نَحْوَ لغة مَا هُوَ إلاّ ميزة خاصّة بها، وليس خاصّيةً دماغية مشتركة بين البشر بياتلي (Piatelli 1979)4.

من هنا أصبحت العقلانية اللّسانية، تتصوّر النّشاط/السُّلوك اللّغوي باعتباره نتيجة عمليات حسابية صورية، تختزل اللّغة الإنسانية و كل أشكال التّواصل الإنساني، الّذي لا يمكن اعتبار عقلنتهِ بمثابة حجّة على وجود جوهر النّشاط اللساني، بل أن الطّبيعية التجريبية للّغة، كما أسلفنا الذكر، من ملاحظة الظواهر اللغوية وبروز قواعد وبنيات لسانية جديدة، كطبيعة تداولية، توضّح تعدُّدِ النّماذج وأنواعها وتفاعلاتها مع الواقع اللساني الذي لا يمكن اختزاله إلى حساب فقط5.

ومن الأكيد أن يكون للّغة الطّبيعية فطرية مردُّها إلى الكليات، لكن المشكل الأساس هو كيف يكون حجم هذه النّواة الفطرية رغم اعتقاد الفطرية المعمَّمة(innéisme généralisé) بأنّ هذه النّواة هي ذات حجم كبير6. والثّابت أنّ هذا الاعتقاد، في نظرنا، يبقى دون سند علمي ما دامت التّجريبية اللسانية تبحث عن كشف تلك الثوابت عبر-لسانية (translinguistique) المتقاطعة مع تعدُّد اللّغات الطبيعية. وهذه الثّوابت الواقعية المبنية على التّجربة هي التي تضعنا على طريق الكونيات المعرفية (universaux cognitifs) 7. ولهذه الكونيات المشتركة بين جميع اللغات الطبيعية والثّقافات وكل الأوضاع تفسيرٌ يُلخصّه لوني Leny في ثلاثة أفكار هي8:

-1توجد في جميع اللغات بنياتٌ حَمليةٌ، وهذه مسألة مركزيةٌ؛ إذ لابدَّ من ثنائية لسانية في علاقة تأثّر يكتمل بها البناء والمعنى، وهذه الثنائية تقتضي تركيباً حمليًا وتأثيراً عامليا في جميع البنيات اللسانية؛

-2توجد ضمن قواعد معرفة المتكلم المنتج للخطاب اللساني بنية قواعد نحوية وصرفية وصوتية ودلالية؛

إذ لا يعقل أن ينتج المتحدّث خطابًا لسانيًا ذا معنى بدون أن تكون له معرفةٌ مسبقةٌ بتلك القواعد؛

-3ولكلِّ إنسان كفاءةٌ لغويةٌ وقدرةٌ على التعلّم تؤهّلانه للإدراك والتّخزين والإنتاج.

واعتمادًا على القانون الكونيّ المعرفيّ واللّسانيّ، ولأجل تقييس السّيرورة اللّغوية

الإنسانية، فقد تمَّ التَّفكير في صياغة أنظمة آلية لمعالجة اللغات الطبيعية9 بهدف إقامة الحوار بين الإنسان والآلة باستخدام التقنيات الرقمية الحديثة10 وفي مقدمتها تقانات الذكاء الاصطناعي11.

وإذا كانت الأبحاث اللّسانية حاولت تحديد السّمات التَّتابعية والاحتمالية للّغة البشرية، ثمَّ فهم العمليات النَّفسية لنشاط الفهم عند الإنسان وبناء التّحليل الدَّلالي للّغة، وذلك بالبحث عن حلول عملية لحالات الالتباس المتعدِّدة من غير الاعتماد على المستوى التركيبي وحده، فإنَّ بعدها المرتقب هو بناء جهاز آليٍّ يستطيع معالجة المعارف اللّغوية المدخلة إليه من خلال إعطاء أجوبة مبنية على المعايير التَّركيبية السَّطحية، ومعجم الكلمات المفاتيح (على الأقل في المراحل الأولى للأبحاث العلمية).

وبهذا تمَّت بلورة تمثُّل المعلومات الضَّرورية لحلِّ هذه الالتباسات بواسطة الحاسوب من خلال التركيز على ما يلي:

-التَّحليل الدَّلالي للجملة، والانتقال إلى التمثل المعجمي للبنية السَّطحية، ومنه إلى التمثُّل الدَّلالي للبنية العميقة؛

-ربط الاتصال بين قاعدة المعطيات وإجراءات أو برامج البحث ومعالجة المعطيات المخزَّنة في الذّاكرة.

وإذا أردنا وصف كيفية الانتقال من الشّكل المعجميّ للبنية السَّطحية إلى التمثُّل الدلالي العميق، يجب الاعتماد على إحدى الطريقتين: طريقة تحليل الأسماء أو طريقة تحليل الأفعال12، وتُحدَّد العلاقة المطلوبة من خلال ربط الوسم الفعليّ للشَّيء المتحدَّث عنه بالشّكل المفهوميّ المخزَّن في الذّاكرة.

بينما تقوم عملية استحضار معلومات الوحدة المعجمية وبناؤها على أساس جزء من الرِّسالة ما قبل-كلامية كما يذهب إلى ذلك وليام لوفلت، بمعنى آخر، أن جهاز التَّحليل والفهم في الكلام هو الذي يستحضر المعجم، وأنَّ بناءه وتوليده على أساس الوقائع والاستعمالات اللغوية يتمَّان بالسُّرعة الفائقة، ولا أدلّ على ذلك سرعة استذكار الأعداد الطبيعية. وفي حال تعذُّر الأمر في حالة الفراغ المعجمي الطارئ، فإن المتكلم يلجأ إلى تذكر الأعداد القريبة من العدد المنسي. ولعلَّ الشّيءَ نفسه يحصل مع المفردات ودلالتها ومواقعها الزمكانية. إذ يعود هذا إلى توظيف المكوِّن الحوسبي الطبيعي القويّ في إنتاج الكلمات المحفوظة في الذّاكرة بشكل فوري مثل التعبيرات المتلازمة نحو:(زَادَ الطِّينُ بَلَّةً)، التي تتقاطع مع عنصري الزَّمن والمكان والفضاءات التي تكون متحكمة فيها أو التي تحكَّمت في إنتاجها تاريخيًا. من هذه الزاوية فإنَّ الشّكل والمعنى يدخلان في تمثيل المكوِّن المعجمي وخاصة المكوِّنات الصَّرفية والصَّوتية والدَّلالية- المنطقية.

وعلى الرَّغم من أنَّ الوحدات المعجمية اللَّغَّية تسبق الأشكال الصَّرفية والصَّوتية، فإنَّ صانع القول هو واقع فاعل القول المكاني والزماني، وهما المحدِّدان الرئيسيان للوحدات المعجمية، ذلك أنَّ الحدث هو المحدِّد للوظيفة المعجمية، وهو الذي يشير معرفيًا إلى فكّ الشَّفرة اللّغوية بواسطة الاهتداء المعجمي الذي يتجلى بدوره في اختيار المفردات وفق نسق طبيعيٍّ سريع ومنطقيٍّ؛ ويقوم الدِّماغ، إثر ذلك، بالمعالجة المتوازية ، التي تكوِّن جهاز المعالجة اللغوية الذي بدوره يحتوي على أربعة مكونات رئيسة هي: المتصوّر والمعبّر والمقطع ونظام فعل الكلام أو المحلّل، وهي التي تقود هذه المبادئ-التي لا يتَّسع المقام لشرحها بدقة متناهية - إلى إنتاج لوغونات نسبة إلى نظرية اللّوغونات(logogen Theory) باعتبارها «نظرية عامة في الاهتداء المعجمي في إنتاج الكلام، وفي تحليله، تبلورت في أعمال مورطون(Morton) من خلال العناية بالتعرف على الكلم ، جزءًا من تحليل الكلام، ثم توسَّعت في أبحاث عديدة أخرى لتشمل الإنتاج»13. وتعدُّ اللّوغونات بمثابة آلية معرفية تجمع المعلومات أو المؤشرات التي تثبت صلاحية استعمال مفردة في سياق معرفي معين، يستجيب لأوامر نطقية عصبية، تُيسِّر فورية الإنتاج المعجمي في تواتر زمنيٍّ وسياق معرفيٍّ وطبقًا لمقتضيات مقامية محددة. وهذا يسري، بطبيعة الحال، على جميع سيرورات المخطَّط التَّواصلي الذي يقتضي إنشاطا(تنشيطا) مستمرًا لإثارة المعجم الذهني لدى المتحدث الطبيعي الذي تصبح لديه السَّليقة وسيل الاهتداء المعجمي دون أية مشكلة معرفية.

إن عملية تقييس الأنشطة الإنسانية المتَّسمة بالذَّكاء بهدف بناء برمجيات حاسوبية لهيَ كفيلة بفهم السُّلوك الإنساني نفسه، وبتحديد النِّقاط التي تتقاطع فيها الأبحاث المعلوماتية والأبحاث اللّسانية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللِّسانيات التَّوليدية واللّسانيات التَّأليفية قد قطعت أشواطًا متقدِّمة في هذا المضمار، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الدلالة التوليدية التي تدخل في الاعتبار المقاييس التّداولية في الوصف الدَّلالي، ونظرية المعجم التركيبي التي تعتبر المفردة كمدخل معجمي/ جملة بسيطة14.

وبما أن الحاسوب أصبح كائنًا ماديًا يعالج المعلومات إلى جانب الإنسان، فإنه كعامل معرفي **agent cognitif** سيكون هو الآخر مُلزمًا بفهم اللغة15. ولكلٍّ من الحاسوب والإنسان مميِّزات تتعلق بدور السنّ والإصابات الدماغية التي تضعف الذّاكرة والقدرة اللّغوية، والتّأويل الدَّلالي للأشكال الرَّمزية، وسعة الذّاكرة، وسرعة المعالجة. كل هذه الخاصيات وغيرها ما تزال قيد الأبحاث العلمية الحديثة المرتبطة أساسا بالتقدم التكنولوجي السريع.

اللساني والمعرفي والمعجمي : الحدود والفواصل

عند تمثلنا الذهني لعنصري الزمن **temps** والفضاء **espace** في واقعهما التداولي، عادة ما نطرح مجموعة من الأسئلة من قبيل: لماذا توظيف الفضاء يجرُّ للحديث عن الزمن؟، وكيف يوظف المتكلم هذه الثنائية؟، وما هي متغيِّرات الفضاء عبر الزمن من جهة، و مميزات الفضاء في الزمن من جهة ثانية؟، وكيف نتصوَّر الفضاء والزّمن وننقله إلى أذهاننا ؟، وأخيرا وليس آخرا، ما هي العلاقة المعرفية التي تربط الفضاء بالزمن في معجم» الغني الزاهر»؟

كل هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عنها بنوع من التفصيل في القضايا ذات الصلة لاسيما علاقة المعرفي-الفيزيائي باللساني، حيث إن البحث في مسالة الفضاء والزمن سيساعدنا على شرح ظواهر لغوية عديدة بشكل أكثر عمقًا، ولذلك فإننا سننطلق من فرضيات نجملها فيما يلي: فرضية التحديد اللسانية لصاحبها سابير وورورغ، ونظرية الملاءمة لسابير وولسون والخاصة بمنهجية الاستعمال الوصفي والاستعمال التأويلي، ونظرية التحسين لسيمولوسكي المرتكزة على مبدأ الإكراهات. وفرضية المحلية اللسانية، والفرضية المعرفية حول العلاقة بين الفضاء والزمن وأيُّهما يتبع الآخر، فحسب جاكندوف إن: «معرفية الفضاء تتبع معرفية الزمن». هذه الفكرة استخلصت بناءً على نتائج دراسة فيزيائية، طُبِّقت على معرفية الأطفال حديثي الولادة، حيث أظهرت النتائج أنَّ تمثيل الزَّمن في ذهن هؤلاء الصغار، اختصارٍ واختزال لتمثيل الفضاء، بمعنى آخر أن الزَّمن هو المتحكِّم معرفيًا وليس العكس، وهذا ما سنتبنَّاه كإطار منهجي أولي لورقتنا، أما نظرية المعجم التوليدي لصاحبها بوستجوفسكي فترتكز على ظاهرة الخروج عن المألوف والتي تلعب دورًا في الاستعمال غير المعياري. كما سنركز هنا على لسانيات لايكوف المعرفية وخاصة فيما يتعلق بظاهرة الإستعارة والانحلال المفهومي في علاقته مع الزمكان، ثم سنتَّخذ من أدوات الفضاء اللغوية دليلا على زمنيتها المعرفية في النّص المعجمي عملا بمبدأ جاكندوف الذي يقول «إن المتحكم معرفيا في الفضاء هو الزمن» وسنختار مدونة معجمية مستخرجة من معجم»الغني الزاهر»للتدليل على ذلك.

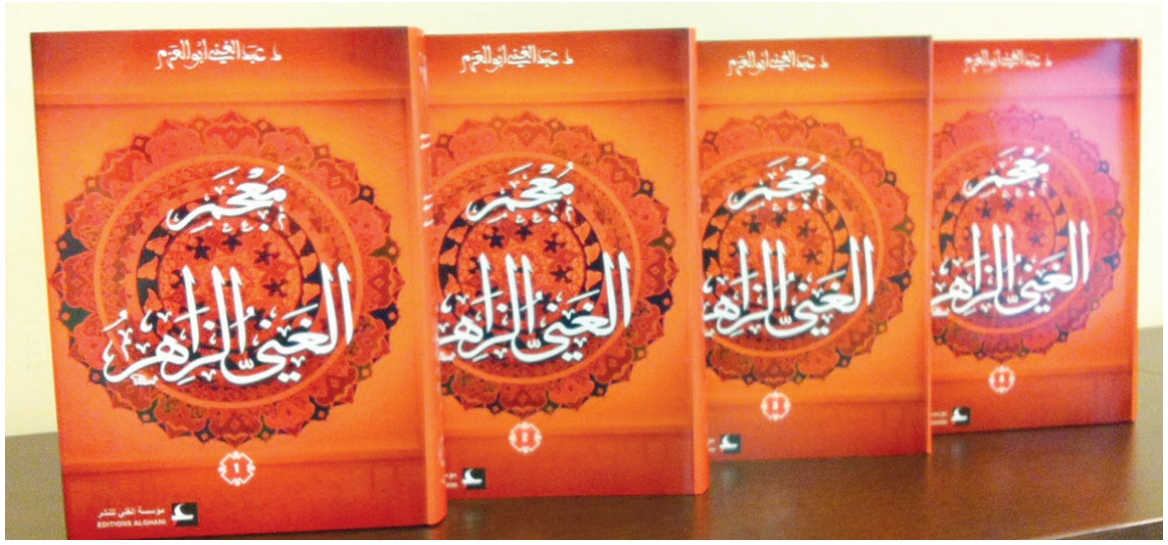

المنظومة المعجمية في معجم «الغني الزاهر»

يمثِّل معجم «الغني الزّاهر» نقلةً نوعيةً في تاريخ المعجمية العربية، لأنّه نزل في سياق ثقافي لغوي يؤمُّه السُّؤال الكبير حول الهويَّة اللّغوية وتَبْيئة المكوّنات اللّغوية سواءٌ أكانت لهجية أمْ لغويةً؛ متناثرةً تحتاج إلى من يولدها من جديد، في حلَّة لغوية عربية جديدة، وهي لغة الحضارة الزّاهرة؛ إنّها تَحدِّياتٌ جديدةٌ، في حدودها الزّمانية والمكانية وخارج حدودها، تتمثَّل في القدرة على مسايرة التقدّم العلمي والتّقني. وليس هذا النزوع العلمي بغريب عن الباحث الدّكتور عبد الغني أبو العزم، الذي يمثِّل انزياحًا حقيقيًا في الحقل الثّقافي والعلمي في الوطن العربي، إذ ألَّف عشرات الكتب التي تتوزّع على مجالات :تحقيق التراث والترجمة واللسانيات، والمعجم والرواية وغيرها، وربما يكون أهمُّها مشروعه المعجميّ الذي أصدر منه لحدّ الآن ثمانية معاجم منها: «المعجم الصغير»، «المعجم المدرسي مناهجه وأسسه وتوجهاته»، معجم «تصريف الأفعال في اللغة العربية للتعليم الأساسي»، ومعجم المصطلحات الدينية، ومعجم مصطلحات حقوق الإنسان، وأنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة: تحقيق. ومعجم «الغني» ومعجم «الغني الشّامل»، وأخيرا وليس آخرا، إنتاجه العصارة ألا هو «الغني الزّاهر».

ملحوظة: هذا جزء فقط من دراسة طويلة...

الهوامش:

-1من بين الاتجاهات والمقاربات اللسانية نذكر على سبيل الذكر لا الحصر : البنيوية والتوزيعية والتوليدية التحويلية والوظيفية الفرنسية والهولندية والنحو التأليفي (أو نظرية النحو- المعجمي)، وبعض المقاربات والتخصصات نذكر اللسانيات الصورية والاجتماعية والنفسية والتداولية واللسانيات الآلية وهندسة اللسانيات والبيولسانيات...وغيرها.

-2مهديوي عمر، الهندسة اللغوية وتطبيقاتها في اللغة العربية،نور نشر، 2018،ص.18.

-3 .265-G.Vignaux P. 264.

-4 .ibid.

-5 .265-G.Vignaux P. 264

-6 Leny. F, Sciences cognitives et compréhension du langage, P.U.F.1989.p.173.

-7 .Ibid

-8 .Ibid. .p .174.

-9 مهديوي وآخرون، المعالجة الآلية للغات الطبيعية: اللغة العربية نموذجا، ألفادوك، الجزائر،2021.

-10 مهديوي عمر، الحوار بين الإنسان والآلة باستخدام تقانات الذكاء الاصطناعي، ضمن كتاب التواصل في زمن التباعد: استراتيجياته وتحدياته في التعليم والحياة الاجتماعية، منشورات أوكسجين، تحرير حسن بدوح،2021. ص. 66.

-11 المرجع نفسه.

-12 في إطار الفهم الآلي للغات، طوَّر كلٌّ من (Quillian) و(Schank) طريقتين لتحليل الأسماء والأفعال.

-13 الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار محمد علي للنشر ومنشورات الاختلاف، 2010،ص.92.

-14 الحناش محمد، النحو التأليفي: مدخل نظري، مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد الأول، السنة الأولى 1985م، (ص 58).

-15 في إطار الفهم الآلي للغة طور كل من Quillian و Schank طريقتين لتحليل الأسماء والأفعال.

دور المعاجم في تجديد تدوين اللغة العربية

مقدمة معجم الغني الزاهر نموذجا

د. مصطفى غلفان
كلية الآداب-الدار البيضاء

مقدمة معجم الغني الزاهر

يمكن اعتبار مقدمة معجم الغني الزاهر من أبرز المحاولاتٍ العربية التي سعت إلى أن تأخذ بعين الاعتبار التساؤلات المنهجية السابقة، وغيرها بكل ما تحمله من تبعات نظرية ومنهجية على اللسانيات العربية الحديثة. وحين نتأمل طبيعة مشاكل المعجم العربي قديماً وحديثا وما يؤاخذ به يتضح أننا أمام مشكل جوهري. وقد انحصر مضمون مقدمات المعاجم العربية لاسيما في العصر الحديث بالإشارة إلى الجانب التقني المتعلق بتبويب المادة وكيفية تقديمها مرتبة وهل ينبغي أن يكون ترتيب مداخل ترتيباً ألفبائياً حسب نطق الكلمات أم ترتيباً حسب جذور الكلمات ومشتقاتها، وهما الترتيبان الأساسيان في العمل المعجماتي العربي منذ انطلاقته الأولى إلى اليوم. ومعاجمنا وإن كانت تتطلع دون استثناء إلى معجم عربي حديث ومعاصر؛ فهي لم تهتم كثيراً بتفصيل القول في طبيعة المادة اللغوية أي البحث عن مميزات ما يشكل اللغة العربية الحديثة وخصائصها الصرفية والتركيبية والمعجمية والأسلوبية في علاقاتها باللغة العربية كما نتكلم به ونستعملها. والواقع أن مشكل المادة لا يقتصر على الجانب المعجمي؛ بل نكاد نجزم بأنه وقف في الماضي ويقف في الوقت الراهن حجرة عثراء أمام تطور الدراسات اللغوية. فقد تطورت اللغة العربية في نطق أصواتها ودلالة مفرداتها وتراكيبها وأساليبها، لكن اللغويين والنحاة قدامى ومحدثين ظلوا محتفظين بالمادة اللغوية وبالمعايير العامة التي حدّدها الأوائل في سياق ما عرف بعصور الاحتجاج.

يخرج معجم الغني الزاهر عن هذا التقليد لينتقل من حيز تناول قضايا المعجم العربي التي عبر عنها عدد من المهتمين بالمعجم العربي الحديث نظرياً إلى مستوى التطبيق العلمي في تعامله مع اللغة العربية في واقعها المتنوع والمتباين.

ويجسد معجم الغني الزاهر تصوراً معيناً عن طبيعة المعطيات اللغوية المعتمدة فيه وعن طريقة التعامل معها. فهو يعرض في مقدمته الأسس التي قام عليها وضع المعجم ليمدنا بأجوبة أولية قادرة على تبيان الملامح العامة للغة العربية ورسم صورة حقيقية ودقيقة لاستعمالاتها الحديثة كموضوع قابل للدراسة العلمية لا يقف عند المستوى المعجمي بل يتعداه إلى باقي مستويات التحليل اللغوي ولاسيما الصرفي والتركيبي والدلالي والأسلوبي.

وعلى الرغم من وضوح الأسس التي قام عليها وضع معجم الغني الزاهر، لم تتم الإشارة صراحة إلى أن الرؤية المنهجية التي اتبعها صاحبه في وضع معجمه مرتبطة باللسانيات البنيوية عامة والمعجماتية البنيوية بصفة خاصة، لاسيما كما هي متداولة في فرنسا مع آلان راي (Alain Rey) المعروف بدراساته الرائدة في المعجم وصناعته(1) وبإشرافه على إخراج طبعات معجم (Le Robert) الشهير.

المعطيات اللغوية في معجم الغني الزاهر

لا غرابة إذا وجدنا معجم الغني الزاهر يؤكد في مقدمته أهمية «المدونة اللغوية» (Corpus) التي انطلق منها. وهو في هذا التأكيد يحترم أحد المبادئ الإجرائية الأساس في التحليل اللغوي البنيوي. فمن المعروف أن الوصف اللغوي العلمي للسان معين أياً كان مستوى الوصف (صوتياً وصرفياً ومعجمياً وتركيبياً) ينطلق في عرف اللسانيين البنيويين من مادة لغوية تنتمي إلى اللسان المراد وصفه، ويتطلب ذلك جمع النصوص والأقوال المكتوبة والمنطوقة المستعملة بين أفراد ينتمون لنفس المجموعة اللغوية، أي ما يطلق عليه المدونة (Corpus) أو المتن. وقد ورث اللساني الأميركي المعروف بلومفيلد 1887-1949 (L.Bloomfield) هذا النهج عن اللغويين الأنتروبولوجيين أمثال، بوعاز 1858 1942 (Franz Boaz) الذين كانوا يعتمدون في دراساتهم لألسن الهنود الحمر وعاداتهم اللغوية والاجتماعية على مادة محددة سلفاً يقومون بوصفها وتصنيف أجزائها ووصف خصائصها على كافة المستويات. وتتكون المدونة من مجموع الأقوال (Enoncés) التي تنتج داخل مجموعة لغوية مُحددة في حالة تزامنية معينة يسجلها الباحث اللساني ويجمعها بدقة وموضوعية. ويتم جمع المتن بتدوين المعطيات إما بالتسجيل المباشر أو باللجوء إلى متكلم سليقي [مساعد الباحث] (informateur) بهذه اللغة يُقدّم التوضيحات والشروح المساعدة للباحث اللساني(2). وللتذكير يجب أن تتسم المدونة في اللسانيات الوصفية بثلاثة شروط أساسية هي:

-التجانس (Homogénéié) أي أن تنتمي النصوص والأقوال المعروضة للوصف إلى نفس المستوى اللغوي حيث ينبغي العمل مبدئيا على تفادي خلط ما هو أدبي بما هو عادي وعدم الجمع بين المنطوق والمكتوب.

- التمثيلية (é Représentativit) وهي أن المدونة اللغوية تمثل اللسان المدروس أو ما هو مدروس منه.

-التحديد الزماني والمكاني للمدونة، ويتعلق الأمر بضبط إطارها في الزمان والمكان(3).

وحين نطلع على معجم الغني الزاهر نجد أنفسنا أمام مادة لغوية محددة تضمها مدونة لغوية مضبوطة بشكل دقيق. ننطلق في البداية من هذه الأرقام الواردة في المقدمة. يقوم معجم الغني الزاهر في نواته الصلبة على مادة سالفه معجم الغني (الإليكتروني) الذي تضمن حوالي 30000 مدخلاً. وتبلغ صفحات الغني الزاهر أزيد من 3600 صفحة بين سطورها 65880 مدخلاً و10038 شاهداً وأزيد من 2000 آية من آيات القرآن الكريم بالإضافة إلى المتلازمات والمسكوكاتٍ والاستشهادات الإيضاحية التي بلغ عددها حوالي 21028 مثالاً وزهاء 1000 رسم(مقدمة المعجم، ص. Xi).

إلى أي حد تمثل مدونة معجم الغني الزاهر اللغة العربية؟ الجواب ليس مهماً في حد ذاته، إذ لا يهمنا مرحلياً البحث في مدى استجابة مدونة هذا المعجم لشروط المدونة كما سبق تحديدها في أدبيات اللسانيات البنيوية، بقدر ما يهمنا أن تصبح فكرة الاعتماد على المدونة اللغوية قائمة في الأذهان ومنطلقاً لا محيد عنه في دراسة اللغة العربية من منظور اللسانيات.

وعلى أي حال، فإن جمع أيّ مدونة لغوية وإعدادها مهما كان شاملاً لا يعني بالضرورة قدرة هذه المدونة على الإحاطة بالخصائص العامة المتعلقة باللسان المدروس. وقد لا تطابق بالضرورة خصائصُ المدونة خصائصَ اللسان المدروس. وليست المسألة مرتبطة بالكم فحسب، وإنما بأهمية وجود بعض المواد الدالة في اللسان ضمن المدونة نفسها، ذلك أن بعض العناصر أو المعطياتٍ اللغوية الهامة أو المميزة قد لا تجد لها مكاناً في أي مدونة أيا كانت شموليتها. ونحن نعرف نقد شومسكي لمفهوم المدونة اللغوية في اللسانيات الوصفية. ويمكننا أن نقول بأنه إذا كانت المفردات محدودة في المعجم فإن استعمالها في جمل غير محدود؛ وبالتالي فإن الشواهد والأمثلة التي يمكن أن تظهر فيها غير محدودة. وليس للأرقام المتعلقة بمادة المدونة في معجم الغني الزاهر في حد ذاتها أي أهمية ولكن قيمتها تكمن في طبيعتها من حيث سماتها النوعية كمادة لغوية معجمية في إطار علاقتها بمفهوم اللسان العربي وفي

الدلالة النظرية والمنهجية العامة التي تكتسيها في سياق إشكال موضوع الدراسات اللغوية العربية قديماً وحديثا.

- ما هي طبيعة المداخل والأمثلة والشواهد التي يقدمها المعجم الغني الزاهر؟

ما دلالتها على المستوى النظري والمنهجي لا في سياق هذا المعجم فحسب وإنّما في الإطار اللغوي العام المتعلق بدراسة اللسان العربي من منظور اللسانيات الحديثة ؟

أي لغة عربية ؟

نجاح أي معجم في تحقيق وظيفته التي تتمثل في أنَّ عليه أن يكون مرآة للسان الذي يجمع مفرداته، فينقلها كما هي استعمالا ونطقاً في مواقف تواصلية مختلفة بحيث إن هذه المرآة يجب أن تعكس بالضرورة الماضي والحاضر معا. قد تكون المسألة من الناحية النظرية العامة ممكنة وقابلة للتحقيق بالنسبة لعدد كبير من الألسن، لكن حين يتعلق الأمر بلسان كاللسان العربي وفي وضعيته المعقدة الراهنة التي نعرفها جميعاً فإن الأمر على جانب كبير من التعقيد والصعوبة. فنحن لا نعثر على حدود فاصلة بين الاستعمالات القديمة والاستعمالات الحديثة:

- من يقبل منك أن تتحدث عن استعمالات حديثة ؟

- من يُحدِّد أنَّها حديثة أو لا علاقة لها بالعربية القديمة ؟ هل يرتبط التحديد بسلطة المتكلمين أم بسلطة المجامع ؟

- من يهتم بما تقدِّمه لجان المجامع اللغوية العربية من توصيات تتعلق بالاستعمالات الحديثة على الرغم من قيمتها العلمية ؟

إن إنجاز المهمةِ المعجماتية على أحسن وجه يتطلب في الثقافة العربية أولاً تحديد طبيعة المادة اللغوية المستمدة من العربية أو على الأقل تحديد معالمها البارزة. وهذا ما لا يهتم به صناع المعاجم العربية الحديثة والقديمة على حد سواء.

أما معجم الغني الزاهر فينطلق من تصور عام للغة العربية يتمثل في أنها حسب ما جاء في المقدمة «تشكل وحدة كلية منفتحة على كل حديث ومحدث، وقابلة للتطويع والتكيف مع أحداث العصر في صيرورة تطورها، وهذا التطور يلغي بالضرورة كل ما هو قديم لكونه حاضراً في حياة المجتمع العربي سواء ما تعلق منه بالدين وما له علاقة بالفقه أو الفلسفة أو الشعر». [مقدمة، ص. xi].

ويُعَدُّ تحديد طبيعة اللغة العربية كموضوع للدراسة اللغوية بالمعنى العلمي لكلمة موضوع أي (objet) كما هي في عرف اللسانيين البنيويين منذ سوسير إشكالاً جوهرياً في الدراسات اللغوية العربية. وليست اللغة العربية عبارة عن حالات مستقلة وقائمة بذاتها بالمفهوم السوسيري للكلمة يمكن الفصل بينها تصورياً بتحديد خصائص كل حالة على حدة صوتياً وتركيبياً ومعجمياً تحديداً يسمح بوضع هذه الحالة بمعزل عن تلك كأن نقول هذه عربية حديثة، وتلك عربية قديمة، وهذه عربية صدر الإسلام، وتلك عربية عباسي، وما شابه هذا. «فاللغة العربية حسب معجم الغني الزاهر «تشكل حلقات متصلة تحكمها صيرورة تطورية نظراً لطبيعة نصوصها القديم منها بنصوصه الدينية والأدبية والفلسفية، وما صاحبها من تطور لاحق، والحديث منها بنصوصه المتنوعة والمحدثة، ومنها العلمية والإعلامية والتكنولوجيا». [مقدمة، ص. xxi]. وتمييز الحالات أو تحديد مسارات حالات اللغات الطبيعية موجود بشكل متفاوت بالنسبة للغات مثل، الفرنسية والإنجليزية والألمانية، حيث يمكن لا للدارس الأخصائي وحده وإنّما للمتكلم العادي أن يدرك أن الأقوال والجمل تنتمي أو لا تنتمي في آنية معينة إلى لغته. ولهذه الأسباب وغيرها نفهم لماذا أعطى المؤلف الأولوية للشاهد ولاستعمال اللغة العربية من حيث طبيعة الفترة الزمنية التي تغطي عصور اللغة العربية بكاملها دون فصل أو تمييز.

ويكتسي مفهوم اللغة العربية في الغني الزاهر أهمية بالغة لارتباطه بمهمة المعجم ووظائفه في المقام الأول والتي تعد مواكبة تطور اللغة في مختلف مساراتها الماضية والراهنة، وأن يكون صورة صادقة لحياة اللغة.» وأياً كانت هذه اللغة، فهو يحاول أن يكون مرآة لها في حلها وترحالها وارتباطها بما هو ثقافي وحضاري، في واقعها الحاضر وانغماسها في عمق التاريخ [ص. 5]. ليست اللغة شيئاً ثابتاً أو جامداً، بل إنها تجسد حركية دائبة ومستمرة تنطلق من الحاضر لتضرب في عمق التاريخ السحيق. فاللغة أي لغة كانت، متغيرة ومتحولة من عصر إلى آخر أو لنقل من حالة إلى أخرى بتعبير البنيويين. « جاء في المقدمة»: بما

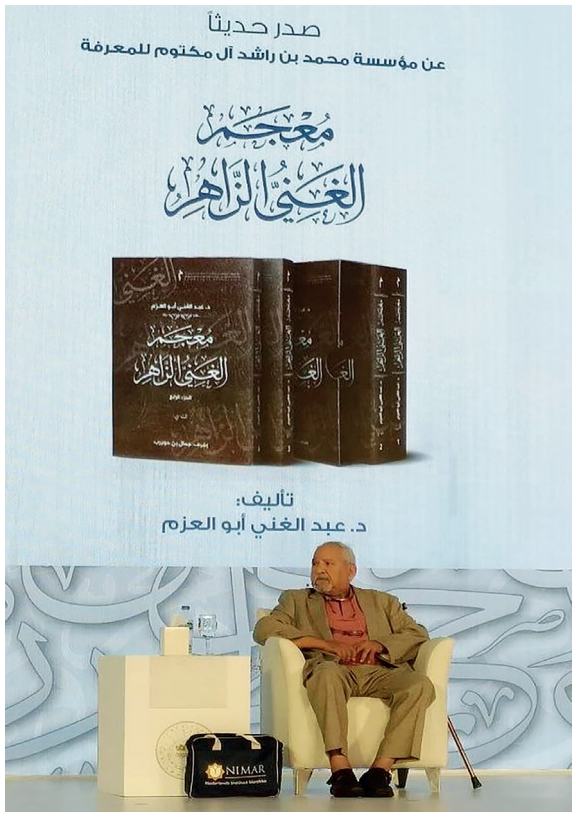

أن لكل عصر لغته المتجددة فإن المعجم الحديث محكوم بالوقوف عندها لمعرفة تطورها واستعمالها، أي البحث في كل الصيغ المتداولة لإدخالها والاشتغال في ضوئها، على قدم المساواة مع ألفاظ التراث اللغوي، لأن قيمة أي معجمٍ تكمن في قدرته على التكيف معها، اشتقاقا وتوليداً وتعريباً والكشف عن تطور مساراتها والانفتاح على كل ما له علاقة بتطور العلوم والاقتصاد أي بمستويات العيش والاقتناعات الدينية والإيديولوجية والحضارية». [مقدمة، ص. XI- XII]

ولا تكتفي مقدمة معجم الغني الزاهر بالإشارة القوية إلى علاقة اللغة بالحياة في شموليتها الطبيعية والبشرية الراهنة والماضية، ولكن صاحبها يعطيها دلالة عملية إجرائية وعملية حين عمد إلى إيراد مفردات عصرية حديثة مولدة ومعربة ومشتقة المرتبطة بالعديد من المصطلحات والمفاهيم العلمية والفنية التي عبرت عنها العلوم والمعارف الحديثة في مختلف المجالات. ويستند معجم الغني الزاهر في موقفه من تطور اللغة العربية في الوقت الراهن إلى تجربة اللغة العربية نفسها حين تعاملت في الماضي بتلقائية وعقلانية مع اللغات التي تواجدت معها في المحيط ذاته. وما أكثر المفردات العربية ذات الأصول الأجنبية. ومن حسنات معجم الغني الزاهر أنه حرص على رد الكلمات المعربة أو الدخيلة إلى أصولها. وحين تكون المفردة غير عربية فهو يذكر أصلها السامي أو الفارسي أو اللاتيني أو الإغريقي وهكذا. إنها ضرورة معجمية تزيد من فعالية دور أي معجم، لأنها تنمي المعرفة اللغوية العامة والخاصة لدى المتلقي.

لقد اتبع صاحب الغني الزاهر منطقاً بسيطاً جدّاً في تحديد طبيعة اللغة العربية التي يجب أن يتضمن المعجم مفرداتها. فهو ينطلق من مقدمتين بديهيتين، أو على الأقل لا يجادل فيهما أحد «تتمثل الأولى في أن اللغة (العربية) أداة للتواصل»، والثانية أن «لكل عصر لغته»، ليستنتج منهما أنَّ المعجم باعتباره خزّان اللغة « محكوم بأن يستوعب موادها» سواء تعلق الأمر بالمعرب أو الدخيل، وبالتالي فإن ذلك يقتضي «أن يتبع المعجمي كل المفردات والصيغ التي دعت حاجة الاستعمال إلى تداولها مما يقودها مباشرة إلى أن تحتل موقعها من بين مداخل المعجم فضلاً عن دلالات ومستجدات ألفاظ العلوم لتجاوز العجز اللغوي الحاصل في المعجم ما دامت اللغة اخترقت وتخترق كل مجالات المعرفة، وما غدا مستعملاً ومتداولا في المجال المعرفي أو العلمي أو الكتابة الصحفية أو الروائية لم يعُد بالإمْكان تجاوزه معْجَمياً». [مقدمة ص. viii]

لكن هذا المنطق البسيط [مقدمتان بديهيتان ونتيجة أكثر بداهة] عميق في أبعاده النظرية والمنهجية، لأنه يفضي بنا إلى أن نأخذ بعين الاعتبار الوظيفة الأساس للعمل المعجماتي التي تفرض: «جرد مختلف النصوص للوقوف على ما جَدَّ من ألفاظ حضارية أو مصطلحات علمية سواء أكانت مُولَّدة أم مُعرَّبة أم عامية في حالة تداولها وتواترها لأنَّ الحاجة إلى معْجم حديث يتضمن جلَّ ما يتداول أضحت ملحة أسوة بكل معاجم اللغات الأجنبية «. [مقدمة ص. xiii]. إنها الصورة العامة التي تأخذها اللغة العربية في معجم الغني الزاهر، حيث» اهتم باللغة المعاصرة وألفاظ الحضارة وما هو شائع من الألفاظ العامية المتواترة على كل لسان»[مقدمة، ص. xi]، صورة تبدو مُشْبَعَة بمعطيات واقع مُعقَّد بتنوع مُكوِّناته اللغوية واخْتلافها، على العكس ممَّا يحاول المحافظون الدفاع عنه من تجَانس لغة متعالية بالمعَنى الكانطي للكلمة، لا توجد إلا في كتب اللغة والنحو وليست في أذهان المتكلمين.

وليس المهم أن يكون معجم الغني الزاهر قد أصاب أم لم يصب في الإحاطة بالمدونة اللغوية في شموليتها أو بحدس المتكلم العربي في صورته المثالية العامة، وحدَّد بالدِّقة المطلوبة والواقعية في غياب المعايير اللغوية والثقافية الضابطة لمفهوم الاستعمال والتداول في العربية الحديثة، ولكن ما يَجب التنويه به هو جرأته العلمية في التعاطي بمرونة كبيرة و انفتاح معرفي شامل مع موضوع طالما صدَّ المعجميون والنحاة العرب الباب أمام أي محاولة لمناقشته أو مراجعته فضلاً على أنه بالجمع بين طريقة القدماء «عبر تتبع مساراتهم والاعتناء بما «أوردوه من شواهد وأمثلة ليعيد للمعجم العربي بهاءه وعناه وأوجه التليد في ضوء معطيات العصر الذي نعيشه[مقدمة ص. xi].

ملحوظة: هذا جزء فقط من دراسة طويلة...

الهوامش:

-1 ألان راي (Alain Rey) (1928-) من أشهر مؤلفاته اللغوية والمعجمية:

Littré, l'humaniste et les mots, Paris, Gallimard, 1970.

La Lexicologie : Lectures, Paris, Klincksieck, 1970 .

Théories du signe et du sens,Paris, Klincksieck, tomes 1 (1973) et 2 (1976).

Le Lexique : Images et modèles,Paris, Armand Colin, 1977.

Noms et notions : la terminologie, coll. Que sais-je , éd. PUF, 1979 et 1992.

Encyclopédies et dictionnaires, Paris, PUF, (Que sais-je) 1982.

Le voyage des mots : de l'Orient arabe et persan vers la langue, Paris, Editions Guy Trédaniel, 2013

(2) يسميه تمام حسان «مساعد البحث»، انظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، .دار الثقافة، الدار البيضاء، 1958/1975. ص. 16.

(3) واضح أن المواصفات السابقة ليست دائماً متوفرة في كل المدونات المدروسة إذ يصعب تحقيقها مجتمعة كما أنها مواصفات تستدعي جملة من الملاحظات التي ما فتئ الدارسون يطرحونها بصدد مفهوم المدونة المعتمد في التحليل اللساني البنيوي ومن هذه الملاحظات:

أ-كون المدونة دائماً مُحملة بالجوانب اللغوية الفردية المتعلقة بالمخبر أو الراوي في الثقافة العربية) أوالباحث نفسه أي تلك السمات اللسانية الخاصة التي لا تفارق الفرد المتكلم طيلة حياته، وهي ليست دائماً عامة وبالتالي ليست من خصائص اللسان المدروسة.

ب- الطابع الاصطناعي للمقام أوالمكان الذي يتم فيه جمع المدونة أو تسجيلها أو تدوينها. ولا تملك المدونة إلا قليلاً من التماسك الداخلي. إنها عبارة عن أشتات من اللسان ليس بينها أي رابط فعلي.

ج-المدونة عينة échantillon تمثل اللسان. وهو ما يطرح مشكلاً منهجياً ونظرياً: كيف يمكن الانتقال من وصف المدونة إلى وصف اللسان ذاته؟ أي المرور من خصائص الجزء إلى خصائص الكل علماً بأن المدونة ليست هي اللسان وإنما هي مجرد عينة تمثيلية؟ له.

د-كيف نحصل على متن تمثيلي للسان المدروس لاسيما إذا استحضرنا أن المدونة محدودة وأن جمل اللسان غير محدودة؟.

لمزيد من الملاحظات النقدية حول مفهوم المدونة في اللسانيات البنيوية يمكن الرجوع إلى :

H. A. Gleason:Linguistique théorique: Une introduction, Paris,A Colin, 1969/1955, p158- 159.

J. Lyons: Linguistique générale,Paris, Larousse, 1970/1968.

د. أحمد التوفيق
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

أيها الصديق الأود الأعز

وأنا أشارك في هذا التكريم الذي تحظى به في مدينتك مراكش، تحيرت بداية في استعمال ضمير المتكلم، هل أتحدث إليك أم أتحدث عنك في هذه المناسبة ؟ ذلك لأنني لو تكلمت عنك لكنت كمن يغتابك بحضورك، ولو تكلمت إليك بحضور الشهود لأفشيت سراً، وقد أدعي أن بيني وبينك سراً أرق من النسيم إذا سرى، غير أنه وجدت أن لا مفر من مد بساط الأنا والأنت، وغايتي أن أتحدث قليلاً عن الزمن الجميل القاسي الذي جمع بيني وبينك، أذكر بعض الشظايا من ذلك الزمن على بعده منا، أقول إنه بعيد، لأنه امتد على ستة عقود، ولأني لا أظن أن ترشحات ما يمكن أن تجعلنا نخفي الحقيقة فيما يتعلق بسن كل منا، فكلانا يشارف من العمر عتيه، ولا يتمنى أن يبلغ أرذله، وهذه المشافهة مقام مصارحة مع النفس، حتى لو كانت لنا أسرار نصر على كتمانها عن الناس. كان الزمن الذي جمعنا في أوائل عهد المغرب بالاستقلال، جميلاً جمال البلاهة، لأنها من صفات بعض أهل الجنة، كان جميلاً لأنه كان طافحاً بالتمني والآمال، وكان زمناً قاسياً قساوة الغائب، لأننا على شيء من التقدم في السن، كنا ما نزال تلاميذ في التعليم الابتدائي، كنا من جملة عموم البلد، لا ندري بالوضوح اللازم، إلى أين نحن متوجهون، وكان الأمر الذي سيظهر حاسماً في مستقبلنا ونحن في شبه غفلة عنه، هو أمر لغة التعلم التي كنا نتعلم بها، فقد أودعنا أهلونا، أنا وأنت، في التعليم المسمى بالحر، ذلك التعليم الذي أسسه الوطنيّون لأبناء الفقراء من أمثالنا، على أساس التدريس باللغة العربيّة احتجاجاً على الوضعيّة الهامشيّة لهذه اللغة في التعليم العمومي، هذا التعليم الذي كان يقوم أساساً على التعليم باللغة الفرنسيّة تحت الاستعمار.

وقبل أن أستأنف الكلام عن هذا الإشكال الذي تحدد به مصيرنا في المعاش، اسمح لي أن أورد صورتك كما هي في الجزء الثاني من «والد وما ولد» كتاب ذكريات طفولتي، وهذا الجزء الثاني ينطبق على مرحلة المراهقة، وجاء فيه فيما يخصك:

أما الصديق عبد الغني أبو العزم، فقد كان لقبه الأصلي «الشياظمي» نسبة إلى الشياظمة، القبيلة العربيّة المعروفة، وبذلك كان يعرف عند التلاميذ في جل أعوام الدراسة، حتى اتخذ هو أيضاً هذا اللقب الجديد، ولعله أخذه من الشيخ الشهير بناحية مراكش، المعروف بسيدي رحال، فقد كانت كنيته أبا العزم. وحتى لو لم تكن له نسبة إلى هذا الشيخ، فهو من طينته النفسيّة، نظراً لما يطفح على وجهه من الفطرة والخيرة. وهو مرهف الإحساس، يتأذى لأقل الأسباب، ولكنه بعيد عن الانطواء، دائم البشر، ملازم الحياء، صادق الود. كان من الثلة المقبلة على القراءة، ولا سيما ترجمات الكتابات التي كانت تأتي في تلك الأيام من مطابع بيروت، كان يراسل البرامج الإذاعية والمجلات، وله أصدقاء عبر تلك الشبكات خارج مدينته.

وأذكرك في الحديث عن ثورة العراق عام 1958 حيث قلْتُ :

غير أن الولد، وأقصد بالولد نفسي أنا الكاتب، اكتشفت فيما بعد وجهاً آخر من ذلك العراق، وجهاً لا يمت بصلة للعنف الثورة، ولا لعقليّة الحجاج بن يوسف، وذلك من خلال صديقه عبد الغني أبو العزم الذي دخل في مراسلة مع فتاة عراقيّة دامت طيلة العامين المواليين للثورة، كانت تصله الرسالة الواحدة منها في عشرات الصفحات، وبخط رقعي دقيق جميل على ورق غاية في الرقة والأناقة وكأن على ظرف كل رسالة واردة على المغرب ختم يقول: «فتحته الرقابة العسكريّة». وكان عبد الغني يرد برسائل في مساحة مماثلة. كان لقاؤها معه على كتابات جان بول سارتر في عموميّات أفكاره الوجوديّة الأدبيّة وفي معناها الثوري العام من خلال روايات مثل «الذباب» و«المومس الفاضلة»، أفكار عائمة يرصع بها المتراسلان زمن مراهقتهما الهائمة في زمن ثورة العراق العارمة. كانت تلك الكتابات الوجوديّة من جمل لذتهما الفضائية المستساغة دونما تعمق في ثنايا فكرها الفلسفيّ المعقد. والعجيب أن الفتاة العراقية المراسلة كانت صريحة في الحوار مع نفسها، ومع مراسلها بشكل غير مألوف قط في ذلك الوقت، حتى في أفلام السينما. وكان يحلو لعبد الغني أن يشرك الولد في قراءة رمال التيه العاطفي، التي كانت تحملها إلى عنوانه رياح البريد من بغداد كل أسبوع. تيه تؤثثه مخلوقة تحسن وصف الظواهر والبواطن، وتتلذذ بذلك في نفسها، وأمام المرآة، وتفتح في كيانها دهاليز تزج فيها بصاحبها القارئ، فيكب على وجهه مقحما، تفعلها بفحولة أنثوية ما يظن أن يمتلكها حتى نوادر الرجال. أما صاحبنا عبد الغني فقد غرق مستسلما لا متوكلا في هذه البركة الأدبيّة العاطفيّة والعراقيّة وقتاً من دهره الطريّ، وكلما رآه الولد بعد ذلك فاغراً فاه أمام أفعى الحياة، حسب حاله من فعل نفث تلك المخلوقة المراسلة».

أكتفي بهذا القدر من جملة الحديث الذي سقته عنك في تلك الذكريات، فالحياة التي عشناها في ذلك الوقت، والتي أفضت بنا إلى مصير متشابه، إنما تستحق التدبر في أفق ما قد يكون لها من المعنى الجماعي، وبهذا الاعتبار وحده تستحق أن تثار. ولكي أوضح ما أعنيه أقول إنني شاهدت يوماً الفيلم الشهير الذي عنوانه «ركل وصراخ» (kicking and screaming) لمخرجه (Noah Baumbach) وفيه جماعة من الطلبة، كان كل واحد منهم يحلم بمآل مشرق ما، وبعد التخرج بسنوات وجد كل نفسه بعيداً عن المرمى الذي كان يحلم به، حتى إن أحدهم قال صديقاً منهم، وقال له : «هل تريد أن تعرف كيف يمكن أن تضحك الإله ؟ إذا أردت أن تضحك الإله فما عليك إلا أن تخطط لحياتك، فإن الإله وهو ينظر إليك تخطط سيضحك لا محالة، لأنه هو الذي يعرف مصير حياتك الحقيقيّ، سيما إذا كان الذي خططه لك لا صلة له بالذي أنت عاكف على التخطيط له ».

أما وأنت أيها الصديق الأود، فإننا لم نكن نخطط للمستقبل، لأن ذلك المستقبل قد تحدد عندما وجدنا نفسينا في مدرسة التعليم فيها باللغة العربيّة، فالعربيّة

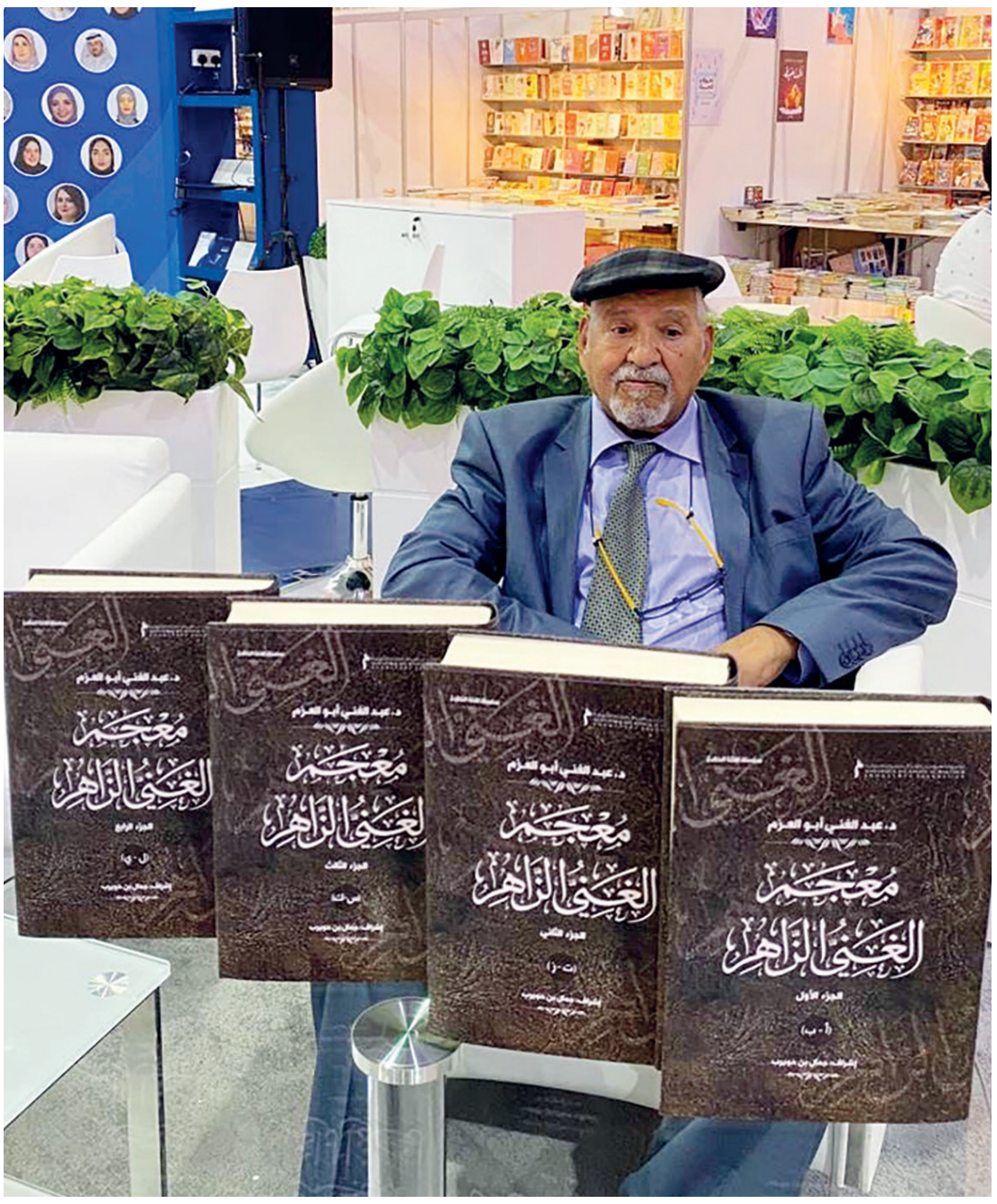

وضعتنا في الحياة على خط مصير مشترك هو أن نكون من المعلمين، لا غير ذلك، فقط كانت العربيّة تغازلنا على لسان حافظ إبراهيم وهي تقول :

أنا البحر في أعماقي الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

كانت العربيّة تغازلنا وتغوينا، حتى إن لعبتنا المفضلة ونحن ما نزال في نهايات الطفولة لم تكن سوى التباري في إعراب الجمل، وهوايتنا لم تكن غير التقعر في شرح المفردات، ولذتنا لم تكن في غير فض أختام الاشتقاقات، وكنا نحفظ في العروض ميزان الذهب، ونردد قول الحطيئة :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه من لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه

وتخيلنا أننا بذلك الحذق سنمتلك الدنيا، وبالغنا في ذلك حتى إننا لربما وقعنا في شيء من الغرور بالخلط بين سلم الشعر وسلم المجتمع، ومن قبيل ذلك الخلط أنك ذات يوم وبعد التخرج من مدرسة المعلمين، دعوتني بمعية صديقنا المشترك علي صدقي، باعتبارنا من أصدقائك الأقربين إلى الذهاب معك إلى مدينة فاس لتخطب فتاة من بنات بيوتات تلك المدينة الأرستقراطيّة، تعرفت عليها عن طريق المراسلة، ولم تكن تعرف عن وضعك الاجتماعي ما يقتضيه المقام، وكل ما هنالك أنها أعجبت بأسلوبك الرقيق بالعربيّة، وأختصر رحلة مهزلة، رحلة الخطبة في تلك الجلسة المسائية في دار الخطيبة، حيث كنا المراكشيين مشدوهين أمام منظر غير مألوف لنا والخطيبة وأقاربها من الشابات والشبان يلعبون الورق أمامنا، ويغمزون ويلمزون، ناهيك عن الأسئلة اللاسعة التي كانت ملفوفة بعبارات الترحيب من أم البنت وخالاتها، وجميعهم في فرجتهم يتمزحون بموضوعنا وحالنا نحن الخطاب كحال من يقول :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وإن كنا لم نرجع من الغنيمة بإياب، إذ تم آنذاك كل شيء حسب الأعراف، وما يقتضيه جو الفرح، والرحلة إلا أن الأيام التالية وبعد شهور قليلة أظهرت مرة أخرى أن سلم المجتمع لا يرقى بنفس السهولة التي يرقى بها سلم الشعر.

والشيء بالشيء يذكر.... وتأبى الظروف ولعمق ما كان يربطنا من مودة أيها الأود إلا أن أكون شاهداً على زواجك بالسيدة الكريمة آن ماري بالدائرة الخامسة عشرة بباريس، ويا لها من مصادفة وقد حملتني إليك رياح شهر مارس وكأني جئت لأنتقم لك من تجربتك الأولى الفاشلة بإمضائي على دفتر الاقتران أمام العمدة وأفراد عائلة حرمك.

أيها الصديق الأود الأعز، لا أقول إن هذا المصير الذي أشركتنا فيه العربيّة هو ما قوى اللحمة بيننا، لأن شيئاً آخر هو الذي كان في صنع هذا الرباط أمتن وأقوى، إنه الاشتراك في الحماسة الفطريّة المسالمة التي جعلت الاختلاف بيني وبينك في الاختيارات الأخرى، لا ينال من مودتنا الراسخة، فقد وجدت نفسك وأنت طالب في الجامعة تنخرط في سلك الرفاق، بينما وجدت نفسي مع الدراويش من الذين يبلغ بهم الشطط إلى حد الانتصار للأذواق، على حساب علم الأوراق، والاختياران في الحقيقة هما وجهان لعملة واحدة، عملة البحث عن باب الولوج إلى السماء، وقد كنا على الدوام متضامنين أمام الزوابع والمتابعات، ولقد تلقيت قدراً من التعويض عن الضرر في إطار المصالحة السياسيّة، ولم نتلق شيئاً عن الضرر بسبب الوهم الذي وقع فيه من أدخلونا مدرسة تعلم باللغة العربيّة، علما بأن التكلفة لو وقع حرصها لوجدت باهظة، وتتجلى على الخصوص في محنتنا الكبرى لتعلم اللغات الأجنبيّة على حسابنا الخاص، وحيث إننا بقينا على بلاهتنا فقد رحنا ننتقم للعربيّة ما وسعنا الانتقام، أنا بكتابة الروايات، وهو نمط مناسب لمزاجي الهائم المتسم بقلة الصبر، وضعف إرادة الإصرار، ورحت أنت تنتقم للعربيّة بصناعة القاموس، سنين كثيرة وأنت معتكف في محرابك بزقاق دار الإذاعة، تتقصى الكلمات بشروحها، وأمثلة استعمالاتها عند الكتاب، تغالب موجها الزاخر، وفي كل يوم كنت تحرق بغليونك أحياء كاملة من أمستردام، من أجل اللذة كما كان نيرو يحرق روما، وأظهر هذا المشروع عظم ما في طبعك من قوة الإصرار، لقد سبق ما سبق في علم الله عندما ألبسوك هذا الاسم «أبو العزم»، لا أعلم شيئاً عن ملابسات الاختيار، ومن اختار لك الاسم «أبو العزم» ولكنني متأكد أنه اختيار بعيد في وعيك عن كل ادعاء، وإلا فكيف يمكن أن تدعي أنك «أيوب» الذي كنيته أبو الصبر، وأبو الصبر هو رديف أبو العزم، غير أن وقد خرجت علينا بهذا الأوقيانوس المسمى بالغني الزاهر، قد أتيت بشيء لم يستطعه إلا أفذاذ الأوائل، ولعل زملاءك من أهل الصناعة قد قالوا قولا في ذلك، كل قاموس يشبه الهرم الذي أقيم للعبادة، بما يثيره من الخشوع، لبناته الكلمات، آه من الكلمات، آه من الأسماء، حبذا لو أن الكون أثبت وجوده في غنى عن الأسماء والكلمات، وبما كان التسبيح غنياً عن الكلام، لأن اسمه حال الاضطرار، وربما كان الحب المحنك غنيًا عن الكلام، ولكنها الأسماء والكلمات، وقود الحرب والنفاق والإهانة والكراهية، فمن معانيها ما يفيد الجرح والإيلام. وأنت كما قلت عنك في البداية، كنت في طفولتك تتأذى بالكلمات، فكأنك اليوم بجمعها وتقييدها بين دفتي كتاب القاموس، وقد مارست عليها جراحة لها وجهان، وجه الغرام، ووجه الانتقام.

أيها الصديق الأود، إذا نحن أمعنا في حديث الأسماء والكلمات، وجدنا اسمك بشطريه يراودنا على التأويل، فعبوديتك للغني برنامج للتحقق بالحرّيّة، هذه الحرّيّة التي تنكبت من أجلها سبلاً لم عليك سوى بالخيبة والإرهاق، أما حروف «العزم» فالعين عين العشق الذي يذيبك حتى ترجع إلى أصلك في الماء، والزاي زاي الزمان، والميم ميم المأساة، والملل معاً، مأساة العشق الذي يعتصره الزمن ويحيله إلى ملانخوليا تفسد الطعم واللون، وقد لا يوجد في مجلسنا من يفهم جدليّة العشق والملل أحسن من سيدة هذه الدار، السيدة العميدة وداد التباع، لا لشيء إلا لأن هذه الجدليّة من مفاتيح قراءة بروست الذي كرست جزءاً من أبحاثها لدراسته.

ولو شددنا الزاي في فعل العزم لدخلنا في مجال السحر، سحر البيان ودائرة الأسماء المعتقد أنها تفعل في الناس والطبيعة على السواء.

كان أستاذنا أحمد إقبال الشرقاوي «صاحب معجم المعاجم العربيّة»، هو الذي جبب إلينا اللغة العربيّة، فخفف علينا مما كان قدراً مقدوراً، وكان يحلو له أن يردد بيت رهين المحبسين أبي العلاء الذي قال فيه :

أمس الذي مر على قربه يعجز أهل الأرض عن رده

وهكذا فالزمن الذي يعنينا في هذه الصبيحة ليس الزمن الفيزيائي الذي عنا أبو العلاء، ولا الزمن الفلسفي الذي اهتم له بروست، ولكنه الزمن المذخر في شكل أعمال باقية، وبهذا يمكن أن نقول إن تكريم شخص مثل صاحبنا عبد الغني ليس من منظور ثقافتنا من قبيل تعزية المحتفى به في زمن ضائع، لأن هذا الاحتفاء إكبار لقيمة الإحسان، وهو الوصول في عمل أي عامل إلى مستوى نافع للناس، يبقى فيهم على سبيل الصدقة الجارية، فهذه في ثقافتنا مشروعيّة مثل هذا الاحتفاء.

أيها الصديق الأود، أخاف أن يكون ما قلته بمناسبتك داخلاً في اللهو واللعب، وهو ما لا يواتي شيبتنا الكاسحة، فالزمن الذي يستنفذنا لا يعرف اللعب، والكلمات في كثير من الأحيان أسماء فارغة من الداخل كالقصب، ما أنزل الله بها من سلطان، فالأصدق ما نشعر به، لا ما تؤديه عباراتنا القاصرة، أيها الصديق الأود، عزمت وتصبرت، فمازلت تتصبر إن شاء الله حتى تكتب في الصابرين.

أعمال مارسيل

تطواف بمجالات تآليفه من التدوين المعجمي إلى التخييل

د. منية الحمامي
كلية الآداب جامعة منوبة- تونس

مقدمة

الدكتور عبد الغني أبو العزم: سياسي وأستاذ جامعي بكلية الآداب والعلوم الانسانية بعين الشق بالدار البيضاء، إحدى الشخصيات الفاعلة في المجال الأكاديميّ والفكريّ والثقافيّ بالمغرب. صدرت له عدة مؤلفات في تحقيق التراث والترجمة واللسانيات. كما تعد الصناعة القاموسيّة من أبرز اهتمامه، بحثاً وتدريساً وتأطيراً علمياً وتأليفاً قاموسيّاً. فقد صدرت له معاجم وقواميس كثيرة منها: المعجم المدرسي والمعجم الصغير ومعجم الغني ومعجم الغني الزاهر. بالإضافة إلى أبحاثه الأكاديميّة التي تتضمن حفرياّت وتأملات في مجالات متنوعة، تحوم، في مجملها، حول قضايا المنهج والمرأة والمعجم والثقافة والمصطلح. وسنسعى في هذا العمل إلى تتبع تأليفه ومختلف نماذجها سواء أكانت في التدوين المعجميّ أم في العمل الترجمي أم في الترجمة الذاتية والتخييل، وإلى رصد ما هو ذاتيّ وما هو موضوعيّ فيها. ونحن نرى أن هذه التآليف بمختلف نماذجها وأنماطها تمثل قصة العشق التي ربطت الدكتور عبد الغني باللغة العربية التي هي عنده تمتلك كل سمات التحديث بحكم حاضرها الراهن وامتدادها التاريخيّ وعمقها الحضاريّ، كما تمتلك القدرة على مسايرة كل إبداع وتطور علميّ ومعرفيّ، بل واستيعابه. فهي لغة حية مستعملة متداولة سارية على ألسنة المتكلمين، وافية بحاجاتهم التواصلية، وهي لغة يتكلمها أكثر من خمسمائة مليون نسمة في العالم. ومعشوقة الدكتور عبد الغني اللغة العربيّة لم تغبن كما غبنت من أهلها، ولكنها بالرغم مما تعرضت له من غبن من أهلها ومتكلميها، فإن ثروتها اللغويّة التي تراكمت خلال القرن الماضي تعتبر أضخم مما عرفته طيلة القرون السابقة، بفضل ما أتيح لها من انفتاح على المستحدث من اللألفاظ والمفردات، وما أمكنها استيعابه من الدلالات الجديدة، والمصطلحات العلميّة من مختلف الحقول المعرفية، وما ألف فيها من مصنفات ومن معاجم، وقواميس لغوية عامة ومختصة. فالدكتور عبد الغني مدرك أن «بأن اللغة العربية، وعلى الرغم مما تعرضت له من قهر - ومازالت - من لدن أهلها ومتكلميها ،عرفت نمواً متزايداً، وانفتاحاً على التعابير الجديدة، والمصطلحات العلميّة في مختلف المعارف والتخصصات، وما ألف من المعاجم العامة والفرديّة والعلوم الفكريّة والعلميّة». وهذه جميعها هي في تقديره معطيات موضوعيّة كفيلة بالنهوض باللغة العربية بالرغم من كل الإرادات السياسيّة المعاكسة. فالنهوض بالعربية لا بد أن يسبقه التخطيط و يدعمه القرار السياسيّ. والتخطيط في تقديره لا ينبغي أن يقتصر على نشر اللغة وتعميمها، فهي على الرغم من كل الإرادات المعاكسة تزداد انتشاراً، وتحتل مكانتها المتميزة بين اللغات العالميّة، مما جعل متكلميها يزدادون أكثر فأكثر، ولكن التخطيط لنهضة العربيّة ينبغي أن يوكل للمؤسسات اللغوية المختصة مثل المجامع اللغويّة والمؤسسات الوطنيّة، لما تتمتع به بنية اللغة من التأثيل والتأصيل، والقدرة الهائلة على التوليد والاشتقاق والاقتراض. وإن وجود لغة يتكلمها أزيد من خمسمائة مليون نسمة، يجعل منها لغة قادرة على التطور، لأنها تمتلك آليّات التحديث، ومؤهلة بحكم واقعها المادي والمعنوي والحضاري والتاريخيّ للإبداع ومسايرة تطور العلوم. ولذلك فهو يأمل في قيام ربيع عربي ثوري يعيد الاعتبار للغة العربية.

1 - في التدوين المعجميّ

يمكن التمييز في التدوين المعجميّ الذي أنجزه الدكتور عبد الغني أبو العزم بين الذاتيّ و الموضوعيّ: فقد آمن بأهمّيّة المعجم كخزان للغة وأداتها في مواكبة تطورها، كما آمن بأن تطوير التنظير في البحث المعجميّ يفضي بالضرورة إلى تطور العمل الصناعيّ القاموسيّ والتطبيقات القاموسيّة والتآليف القاموسيّ. ولذلك انخرط في المجال المعجميّ بحثا وتدريسا وتأطيراً وتأليفاً قاموسيّاً. كما انخرط في إنجاز مشروع متكامل في التدوين المعجميّ، أصدر منه لحد الآن ثمانية معاجم منها: المعجم الصغير، والمعجم المدرسي مناهجه وأسسه وتوجهاته، ومعجم تصريف الأفعال في اللغة العربية للتعليم الأساسي ومعجم الغني ومعجم الغني الزاهر.

ولعل أهم تآليفه القاموسيّة، في إطار هذا المشروع القاموسيّ الكبير، هو معجم الغني الذي يحتوي على سبعين ألف مدخل إضافة إلى اللوحات الفنيّة والخرائط وألف شاهد وثلاثة آلاف مثال. ومن الخصائص المميزة لهذا القاموس عن غيره من المعاجم التي ظهرت في القرن العشرين، كثرة شواهده وأمثلته وانفتاحه على المستعمل والمتداول بما فيه المعرب والدخيل والمولد للوصول إلى أكبر عدد من قراء اللغة العربية «أما ترتيب مداخله فجاء حسب نطقها من دون حرج أو تأرجح باعتباره نمطا من الأنماط الترتيبية التي عرفها المعجم العربيّ».

كما اهتم المعجم بالجموع التي يصعب أحياناً معرفة جذورها ومفرد مفرداتها. وسعى فيه مؤلفه إلى حل مشكلة التعريف للمداخل التي تعاني منها القواميس العربية الحديثة عموماً والتي حاول هذا المعجم حلها. وقد لجأ كذلك إلى الصور باعتبارها جزءاً مكملاً للمعلومات اللسانيّة التي يتضمنها المدخل المعجميّ، فكثرت فيه الصور والرسوم الإيضاحيّة والخرائط الجغرافيّة، واللوحات الفنيّة، كنمط من الخطاب القاموسيّ الخارج لساني(discours dictionnairique métalinguistique).

والغني الزاهر هو أول معجم عربي عربي، لغوي معاصر رتب ترتيباً ألفبائياً، وخضع لمنهجيّة قاموسيّة حديثة، وانفرد بتحقيق المناصفة اللغوية بين الإناث والذكور، من خلال إثباته لتاء التأنيث، في سياق شرحه للمفردات في ضوء تطوراتها، وسياقاتها العامة أو الخاصة. وقد ضم آلاف الشواهد الدينيّة والأدبيّة، والمصطلحات الحضاريّة والعلميّة

والتقنيّة، كما حرص على إيراد الكلمات المولدة والمعربة والدخيلة. والمعجم في عيون مؤلفه الدكتور عبد الغني أبوالعزم: « يشكل نقلة نوعيّة بالنظر لمجمل المعاجم التي ظهرت خلال القرنين الماضيين، و قد استغرق تأليفه أزيد من ربع قرن، وفق منظور يعتبر الغني الزاهر مدونة لغويّة منوعة، تمتد من مشرق الوطن العربي إلى مغربه، ويأخذ بعين الإعتبار كون اللغة كائن حي في تطور مستمر».

وإن مشروع التدوين المعجميّ للأستاذ عبد الغني أبو العزم هو مشروع متكامل، وهو إلى ذلك جزء من مساره العلميّ الذي سعى من خلاله إلى سد ثغرة في مجال الإنتاج المعجميّ، والإسهام به في تطوير العمليّة التعليميّة، وبعد صدور مجموعة قواميسه الورقية وقاموسه الالكتروني: معجم الغني في قرص، اتجه إلى تهيئة معاجم جديدة خاصة بمرحلة التعليم الأساسي، نتيجة وعيه بالنقص الموجود في التآليف المعجميّ الخاص بالمراحل المدرسيّة، إذ هو يعتقد العمليّة التعليميّة لا يمكن أن تنجز بدون وجود معجم مدرسي وظيفيّ بين أيدي الطالب، كما هو الشأن بالنسبة إلى اللغات العالميّة الأخرى كالفرنسيّة والانقليزيّة.

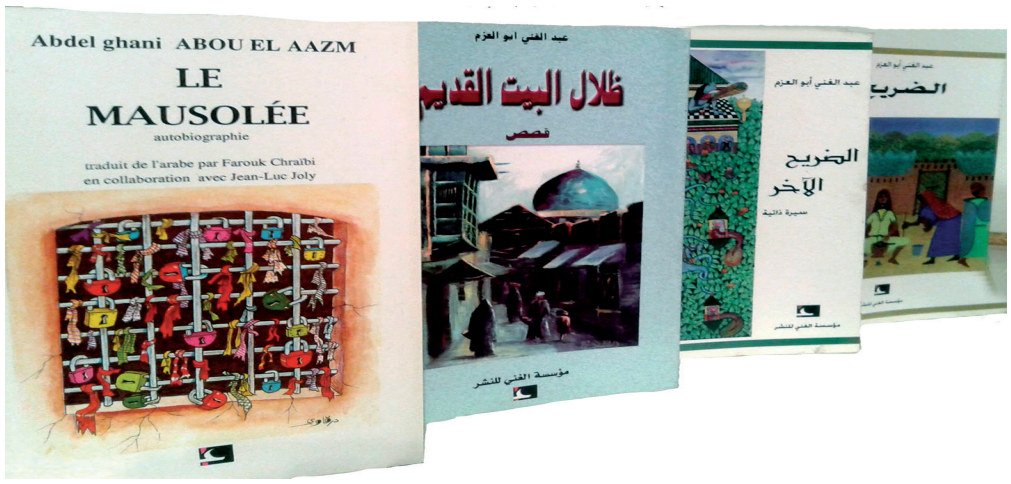

2 - في العمل الترجميّ

يمكن التمييز في الإسهام الذي كان للأستاذ عبد الغني أبو العزم في الترجمة بين ما هو ذاتيّ وموضوعيّ. فقد كان إسهامه في ترجمة أعمال متنوعة إلى العربيّة نتيجة قناعته الذاتيّة والموضوعيّة أن الترجمة هي جسر بين اللغات والحضارات و الثقافات تنقل إبداعاتها ومضامينها المعرفيّة ومرجعياتها الثقافيّة، والترجمة في تقديره أيضا هي ذلك « الجسر الصلب الذي يؤدي للانفتاح على عوالم جديدة لتطوير التواصل بثقافات الشعوب، والتفاعل معها من أجل استيعاب مفاهيمها ومنطلقاتها، ومعرفة مستوياتها الحضاريّة في ضوء أدبياتها وعلومها، ومجمل تراثها وقيمها، وعوامل نهضتها، فإن ما تمت ترجمته، أدى بالضرورة إلى

الاتصال بتراث الثقافات الأخرى، فارسيّة ويونانيّة وسريانيّة، اتصال كان له أبلغ الأثر في الإنتاج الفكريّ والعقليّ والعلميّ، حيث شكلت الترجمات العربيّة جسراً، لكي يطور الفكر الغربي رؤيته للأشياء في القرون الوسطى، وهذا التداخل بين الثقافات والاحتكاك بروافدها والأخذ بترجماتها، ساعد على الخلق والإبداع، وتطوير الذات العالمة في سياق تطور المجتمعات الإنسانيّة في كلّيّاتها. وعندما نستقصي أثر الترجمة بالنسبة لكل الحضارات البشريّة نجدها قد أسهمت إسهاماً بالغاً في رقيها، والتمكن من ازدهارها، ومدها بعوامل التلاقح والاتصال. وما يشكل جوهر أي ثقافة وتقدمها يتجلى في مدى انفتاحها على الثقافات الأخرى، باعتبارها إنتاجاً إنسانيّاً مشتركاً.«

ولكن الترجمة لا تحدد الهويات الثقافية في تصور الأستاذ عبد الغني لأن الهُويَّة تحددها عناصر ومقومات أخرى متنوعة و متعددة الأبعاد. ذلك أن الهُويَّة بمفهومها اللغوي تعني ذاتيّة الشخص، وهو ما يقتضي عنده التمييز بين هُويَّة الفرد من ناحية وهُويَّة الجماعة التي ينتمي إليها الفرد من ناحية اخرى. ولا يعتبرالأستاذ عبد الغني، في ضوء هذا التصور، أن الترجمة ناقلة للهويات، أو صانعة لها، لأن مفهوم الترجمة يمتد إلى ما هو ثقافيّ وحضاريّ، وما هو مرتبط بهُويّات الجماعة التي استمدت منها المادة المترجمة.

وما هو ذاتيّ في العمل الترجمي عند الأستاذ عبد الغني أبوالعزم هو ترجمته لأعمال روائيّة كانت له معها حكايات ذاتيّة، نذكر منها رواية بيدرو بارامو للكاتب المكسيكي «خوان رولفو» الأب الروحيّ للواقعيّة السحريّة في أدب أمريكا اللاتينيّة، وتعد هذه الترجمة الثانية من نوعها لرواية رولفو بعد الأولى سنة1983 التي أنجزها المترجم السوريّ المعروف صالح علماني المتخصص في ترجمة عمالقة الأدب اللاتينيّ. قد أشار الدكتور أبو العزم في مقال نشر في جريدة القدس العربيّ إلى حكايته الذاتيّة مع هذه الرواية فقال : « عندما وجدت نص بيدرو بارامو قد قام بترجمته صالح علماني، سررت لذلك، ولم أصر أفكر في أمره؛ إلا أني حينما استرجعت محتويات العلبة الكرتونية في صيف 2010 بفرنسا وأعدت قراءة ما ترجمته، وجدت تبايناً بين الترجمتين، الأمر الذي أعتبره عادياً، إذ أن كل ترجمة ما هي إلا قراءة جديدة للنص، هذا بالإضافة إلى محفز آخر، إذ وجدت ترجمة ثانية جديدة باللغة الفرنسيّة غير التي اعتمدتها سنة 1982، وهذا ما شجعني أكثر لإعادة قراءة الترجمة كلّيّة في ضوء النصين الفرنسيّين معاً، واستعادة مرحلة اهتمامي بالترجمة وبآداب أمريكا اللاتينية. وهذا ما أقدمه للقارئ العربيّ؛ مؤكداً في نهاية المطاف أن كل ترجمة ما هي إلا قراءة جديدة للنص.«

3- في التخييل والابداع

تمثل السيرة الذاتيّة بالنسبة إلى الاستاذ عبد الغني لحظة التذكر، واستعادة الماضي بكل ثقله وهمومه وأحزانه وأفراحه، ولا تقف السيرة الذاتيّة فقط عند نقل أحداث الماضي والتأريخ لها، ولكنها تسعى من وراء ذلك إلى الكشف عن الخبايا والمسكوت عنه، وتعرية الواقع بدون تحايل وبلغة مباشرة، من أجل إظهار الحقائق عارية لتصبح عبرة، وهي بذلك مؤثرة في النفس وذات فعّاليّة كبرى.

وللكاتب أيضاً روايتان هما: الضريح سنة 1994 والضريح الآخر عام 1996 التي حصل بها على جائزة المغرب للكتاب صنف الابداع لنفس العام. كما صدرت له أيضاً مجموعة قصصيّة بعنوان ظلال البيت القديم. لا تختلف عن الروايتين السابقتين اللتين تحضر فيهما مقاطع كثيرة من السيرة الذاتية و هو متجه إلى استكمال الأجزاء الباقية التي تسجل مراحل هامة من حياته منها : مرحلة الجامعة أو مرحلة المهجر والغربة، ومرحلة العودة من المنفى، لكونها تسجل أدق الفترات التاريخية في المغرب المعاصر.

والكتابة ومهما تنوعت مواضيعها، هي عنده «ترتبط بالذات، بل تلتصق بها أيما التصاق، وعندما تتولد الرغبة في الكتابة، يصعب إزاحة الذات، وكل ذات إلا وترغب في إعادة التوازن والاستمراريّة على أساس النقد والنقد الذاتي لإبراز الكينونة، ولإعطاء طعم حقيقيّ للحياة». والكتابة هي أيضا عمل إبداعيّ وأيا كان المجال الذي تتنزل فيه أكانت فلسفيّاً أم اجتماعيّاً أم أدبيّاً، ما هي إلا إعادة الروح للذات. والكتابة سلاسل من دوائر مترابطة، وهذه الدوائر تحيل إلى ذوات مترابطة، كل دائرة أو كل ذات تشد الأخرى بحمولة

من التجارب الذاتيّة التي عاشتها. ولما كانت التجارب الذاتيّة تختلف وتتباين، كانت هذه الحمولة التي تحملها الذات مختلفة بالضرورة من ذات إلى أخرى مثريّة لها ومضيفة لها ما أتيح لها اقتناصه من تجربتها الخاصة والمتفردة في آن. وانطلاقا من هذا التصور الذي له عن الكتابة، لا يمكن للكتابة أن تكون محملة بالمعنى إذا لم تنطلق من الذات، الذات الكاشفة عن العيوب والنقائص، والباحثة عن التجديد والخلق والإبداع.

ولما كانت الذوات متمايزة بحسب وظيفتها، إذ هناك الذات الفاعلة في التاريخ والذات العابرة، أمكن أن نعتبر أن الدكتور عبد الغني أبو العزم ذاتاً فاعلة في واقع اللغة العربيّة و في مستقبلها، بما كان لها من تآليف في التدوين المعجميّ القاموسيّ وفي المجال الترجميّ والابداع التخييلي.

ملحوظة: هذا جزء فقط من دراسة طويلة...

مراجع :

- عبد الغني أبو العزم : الضريح، دار تينمل بمراكش، سنة 1994 أربعين ومائة صفحة.
- عبد الغني أبو العزم: الضريح الآخر، ط 1996.
- عبد الغني أبو العزم: ظلال البيت القديم، مجموعة قصصيّة .
- عبد الغني ابو العزم : المعجم المدرسي، المجلس العلمي
majles.alukah.net › الكتب والمخطوطات › مكتبة المجلس.
المواقع الالكترونية:
- معجم الغني • مستودع الكتب • الموقع الرسميّ للمكتبة الشاملة-
shamela.ws/rep.php/book/2236
www.almeshkat.net › - التصنيف العام › اللغة العربية، عبد الغني أبو العزم
- الشرق الأوسط-
classic.aawsat.com/details.asp- article=120020&issueno=8671
- معجم الغني (كتاب إلكتروني متميز) - مكتبة مشكاة الاسلامية-
www.almeshkat.net ›
- عبد الغني أبو العزم يؤلف أول معجم عربي يحقق المناصفة -
www.maghress.com/almassaia/7473

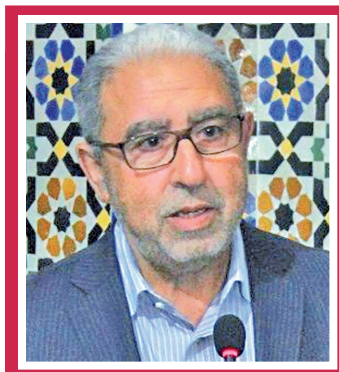

محمد الأشعري

عبد الغني أبو العزم

برج بابلي لتخزين كلماتنا وتعبيراتنا

هناك أعمال لا تقتطع جزءً من حياتك، بل تصبح في متحققها، وفي رمزيتها، جوهر حياتك. وهذا العمل المعجمي الكبير للصديق الأستاذ عبد الغني أبو العزم، هو بالتأكيد من هذا الصنف، فهو يلخص إلى حد بعيد، علاقته الفكرية، والأدبية، الوظيفية، والوجدانية، باللغة العربية، التي لم يتلقها فقط كلغة، بل كقدر شخصي وجماعي، كمفتاح من مفاتيح الحرية والمعرفة، وكغواية دائمة، يحملها اللفظ والنحو والصرف، الاشتقاق والمعنى، وتحملها روح اللغة، بعبقريتها الشعرية، وبمقدسها، باندثارها وبانبعاثها.

إن كل من عايش هذه التجربة الثرية للأستاذ عبد الغني أبو العزم في اشتغاله على اللغة العربية، يدرك بوضوح، أن الأمر لا يتعلق فقط بهاجس تعليمي تربوي، يضع بين أيدي الأجيال الجديدة، معاجم ميسرة، تجيب على حاجياتهم في المجالين الدراسي والثقافي، وتلائم علاقتهم المختلفة عن الأجيال السابقة باللغة العربية، بل الأمر يتعلق أساسا بإعادة ربط المعجم في صيغته الحديثة، بالحياة كما هي هنا والآن، في مناخها اللغوي المتسم بالتعدد والتلاقح المتبادل، وفي مناخها الأدبي ارتباطا بالنصوص التي تشكل اليوم الخزان المعاصر للغة العربية، وفي مناخها اليومي المرتبط بالاستعمال والتداول، بالمحو والإثبات، بالذاكرة والمتخيل.

منذ «المعجم الصغير»(1993)، إلى «الغني الزاهر» (2013)، لم يتوقف الأديب والباحث الأستاذ عبد الغني أبو العزم، عن «الانتقام للعربية» بتعبير الأستاذ أحمد التوفيق، وذلك بتتويجها بهذا العمل الشغوف الصبور، برجا بابليا لتخزين كلماتنا وتعبيراتنا التي نجت بأعجوبة، من هيمنة الغرباء وخذلان الأقرباء.

نضال عمر كامل انتبه مبكرا (وضد التيار)، إلى أن النضال من أجل اللغة هو نضال من أجل الوجود.

د. فتحي الجميل
جامعة منوبة تونس

عبد الغنيّ أبو العزم
شخصية المعجميّ في النصّ الأدبيّ

إهداء

«مرّاكش» الحمراءُ تزهو فتنةً ... في حمرة الغسَق المضَمّخ بالسّنَا
هي قبْلَة العشاق، كعبة عشقهم ... هي قبْلَة تحلو بساحاتِ «الفنا»
فيها «أبو العزم» تألّق نورُهُ ... في علمه الموفور أقطافُ الجَنَى
«مرّاكش» ذكرى تظل ببالنا ... تبقى هنا.. تبقى هنا.. تبقى هنا

ف. الجميل

ليس من الغريب، في نطاق الحضارة العربيّة الإسلاميّة، منذ عهودها القديمة، أن تتعدّد المواهبُ وأن تجتمع الاختصاصات لدى المؤلّف الواحد. وقلّما نجد في كتب التراجم ذكراً لأحد الأعلام من الفقهاء أو المفسرين أو المؤرخين أو الجغرافيّين أو النقاد دون أن نكتشف أن ما يشتهر به اليوم عندنا من اختصاص إنما هو بعض مما اشتغل به طيلة حياته من نشاط في الكتابة والتأليف. إذ كان الفقيه محمد بن إدريس الشافعي مثلاً شاعراً أديباً حكيماً، وكان الناقد ابن رشيق شاعراً، وكان المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ناقداً متصوّفاً قاصّاً. ولا يحيط المرء بالأمثلة الدالة على هذه الظاهرة اللافتة. ولم يكن علماء اللغة والمعجم مختلفينَ في هذا الأمر. فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي عالمُ اللغة الأشهر نفسُه نحويا عروضيّاً موسيقيّاً رياضيّاً. وإنما الجامع بين هذه الاختصاصات المختلفة المتباينة هو الكتابة باعتبارها فعلاً إبداعيّاً فكريّاً لا تحدّه المواضيع ولا الأجناس الأدبيّة.

ونجد اليوم من المعجميّين العرب كثيراً ممّن يكتب النصوص الأدبيّة الإبداعيّة، فكأنه يجد فيها ملجأ من ضوابط البحث العلميّ الأكاديميّ بما فيه من تنقيب وتمحيص ودقة منهجيّة ومعرفيّة. ومن أمثلة ذلك في تونس ما عرف به المعجميّ الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي من أعمال قصصيّة ومسرحيّة لعل من أشهرها رواية «بودودة مات» (1962) والمجموعة القصصيّة «طرننو اتعيش وتربي الريش» (1975) والمسرحيّات الثلاث «زمن الترهات» (1976)، وما عرف به المعجميّ الأستاذ إبراهيم بن مراد من أعمال قصصيّة جمعها في كتابه «الوجه الآخر للحكاية» (1982). ونذكر من المغرب المؤرخ المفكر الأستاذ عبد الله العروي الذي كتب روايات كثيرة منها «الغربة» (1971) و«اليتيم» (1978) و«الفريق» (1986) و«أوراق: سيرة ذاتية» (1989) و«خواطر الصباح» (يوميّات في أربعة أجزاء)، كما نذكر الناقد والمترجم الأستاذ محمد برادة الذي عرف بالإضافة إلى أعماله النقديّة وترجماته بمجموعته القصصيّة «سلخ الجلد» (1979) وبرواياته مثل «لعبة النسيان» (1987) و«امرأة النسيان» (2002).

والأستاذ عبد الغني أبو العزم معجميّ أديب ناقد مترجم محقق مفكر. وتدل على ذلك كتبه التالية: «المعجم الصغير» (1993)، و«معجم تصريف الأفعال» (1997)، و«المعجم المدرسي: أسسه ومناهجه» (1998)، و«المعجم اللغوي التاريخي: منهجه ومصادره» (2006)، و«الغني الزاهر» (2013)، و«المنهج والنص: «مدخل إلى التحليل الإحصائيّ اللغويّ للنصوص الأدبيّة» (1986)، و«ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب» (مترجم)، و«أعزّ ما يطلب» للمهدي بن تومرت (محقق)، و«الضريح: سيرة ذاتيّة روائيّة» (1994)، و«الضريح الآخر» (1996)، و«ظلال البيت القديم» (مجموعة قصصيّة) (2001)، و«الثقافة والمجتمع المدنيّ» (1996).

وتعكس هذه المؤلفات وغيرها شخصيّة الأستاذ عبد الغني أبو العزم، وهي شخصيّة فسيفسائية مكوّنة من ألوان كثيرة تعكس انتماءَه الاجتماعيّ وفكرَه وحياتَه بمختلف مراحلها وأطوارها.

وقد قرأنا للأستاذ عبد الغني أبو العزم سيرته الذاتيّة الروائيّة الضريح التي صدرت منذ أكثر من عشرين عاماً، فوجدناه لا يتخلى عن لبوس المعجميّ. ففيها شخصيّة المعجميّ يُعنى باللفظ ومعناه، حتى وهو يكتب الأدب والسيرة الذاتيّة.

واخترنا البحث في مظاهر من شخصيّة المعجميّ في الرواية السيرَذاتيّة أو السيرة الذاتيّة الروائيّة من خلال رصد عنايته بالمفردة لفظاً ومعنى. إذ كان يُعنى بضبط الألفاظ التي يراها حريّة بالضبط لتتّضح، وكان ينشغل بشرح معانيها حين يقدّر أنها بحاجة إلى الشرح والتفسير.

العناية باللفظ: من مظاهر عنايته باللفظ

- ومثال ذلك «كاعمي» (ص. 80) و«كادّة» (ص. 81) و«الكُمّيّة» (ص. 25).
- وضع المفردة بين قوسين، ومثال ذلك «تُقَرْشَل» (ص. 13).

وهذه العلامات الخطّيّة المرئيّة وسيلة للإظهار البصريّ تشبه تقنيّة قاموسيّة شائعة هي إبراز العنوان أو المدخل القاموسيّ (l?entrée) بالخط الغليظ المشدد (gras) أو بتلوينه (باللون الأحمر مثلا).

- ضبط الألفاظ بالشكل بتحديد الحركات ليتّضح نطقُه وليظهر وزنه أو صيغته الصرفيّة، ومثال ذلك «خُصَّة» (ص. 31) و«عَبّار» و«العَبْرَة» (ص. 32) و«الحَمّار» (ص. 93) و«لعبة المَلا» (ص. 103).

وللكاتب في هذا الضبط غايات مختلفة، بعضها بيداغوجيّ تعليميّ بإظهار اللفظ بجميع خصائصه لأن الكاتب يقدّر أنه ليس معروفاً لدى طائفة من القرّاء، وبعضها علميّ معرفيّ، إذ يسعى إلى الأمن من اللبس أو الخلط مع مفردة أخرى تشبهه. وهو في كل هذا يظهر وعياً بضرورة أن يسهّل الكتّابُ عمل اللغويّين والمعجميّين الذين سيجدون في الأعمال الأدبيّة الإبداعيّة مدوّنة يعتمدونها لجمع المادة المعجميّة المكوّنة لقواميسهم. ولا شكّ أن هذا الوعي المعجميّ القاموسيّ قد تجلى في عمل الأستاذ عبد الغني الأبرز، وهو قاموسه الغنيّ الزاهر الذي حرص فيه على اعتماد الشواهد المختلفة المأخوذة من الاستعمال الحيّ (كالقرآن الكريم والحديث النبويّ، والشعر وكتب الأخبار والأعمال القصصية والروائيّة الحديثة...).

وهو تصوّر يقطع مع مرحلة طويلة من مراحل التأليف القاموسيّة كان الاعتماد فيه على الأمثلة المصنوعة أو النقل عن القواميس السابقة دون عناية بالشاهد الدال على الاستعمال الحيّ.

على أن لهذا الضبط غاية أخرى تبرّره وسبباً آخر يدعو إليه. إذ يقدّر الكاتب - بحسّه المعجميّ القاموسيّ- أن الألفاظ العاميّة والمولّدة والمقترضة قد تكون معبّرة عن خصوصيات لَهَجيّة محليّة أو قُطريّة أو إقليميّة. إذ يمكن أن تكون تلك الألفاظ مستعملة في لهجة من لهجات المغرب دون سواها من لهجاته، أو مستعملة في المغرب دون أن تكون مستعملة في بقيّة بلاد المغرب العربيّ، أو مستعملة في بلاد المغرب العربيّ دون سائر البلاد العربيّة (من أمثلتها «الهَجّالة» وهي الأرملة، و«الزّمّيطة» وهو ضرب من الدقيق يؤكل). وهو حين يضبط الألفاظ ويلفت الانتباه إليها بصريّا يسهّل على القارئ العربيّ، مهما كان بلده ومهما كانت لهجته، أن يقف عند تلك الألفاظ، وأن يدرك أنها من المولّد المحدَث الذي لا يجد له حضوراً في القواميس العربيّة.

ولا يكتمل هذا الوعي المعجميّ القاموسيّ إلا بالعناية بمدلول اللفظ وخصائصه الدلاليّة.

«الضريح» 1 أنموذجاً

2- العناية بالمعنى

من مظاهر عناية الكاتب بالمعنى في الضريح اعتماد الشرح أو التعريف القاموسيّ لكثير من الألفاظ التي يقدّر أنها بحاجة إلى التوضيح. وقد اعتمد الأستاذ عبد الغني أبو العزم لذلك طرائق مختلفة منها:

2--1 الشرح الصريح المباشر: تظهر هذه الطريقة شخصيّةَ المؤلّف المعجميّ القاموسيّ. إذ يعتمد فيها المؤلف تقنيّات التعريف القاموسيّ المعروفة. ويعتمد فيها الأستاذ أبو العزم الوسائل التالية:

- اعتماد «أي» التفسيريّة. ومن أمثلة ذلك: «الكُمّيّة» أي الخنجر الفضّيّ (ص. 25)، و«المزكور» أي الذّرَة (ص. 22)، و«الرّيَاحْ» أي مسّ من الجنون (ص. 79)، و«الهَجّالَة» أي الأرملة (ص. 17)، «خُصَّة» أي نافورة من رخام ينبع في وسطها الماء (ص. 31)، و«عَبَّار» أي يعبر الحبوب بـ«العَبْرَة» لكل مشترٍ (ص. 32)، و«كاعمي»

أي المدخل الطويل القائم ما بين باب الدار ووسطها (ص. 80).

- اعتماد فاء التفسير، ومثال ذلك: «امرأة «كادّة» فهي التي كانت وراء التنظيم والترتيب (ص. 81).

- اعتماد الجمل الاسميّة المبدوءة بالضمير المنفصل «هو» أو «هي»، ومن أمثلة ذلك: و«الحَمَّار» هو عبارة عن صندوق من خشب له أربعة أرجل ومفتوح من الأعلى يُرى ما بداخله من حلويات، يُفتح ويغلق تجنباً للسرقة (ص. 93)، و«ثمر «النبك» هو نوع من ثمار الزيزفون إلا أنه أصغر منه بكثير (ص ص. 107- 108).

- اعتماد التقويس: وذلك بتعريف اللفظ بين قوسين، ومثال ذلك: «الغيطة» (وهي نبات عندما يزهر على شكل بوق تفوح منه رائحة زكية) (ص. 59). ويمكن أن تكون الجمل التعريفيّة واردة في شكل جملة سرديّة تُسبق باللفظ المشروح المعرّف موضوعاً بين قوسين، ثم يتلوه اللفظ الشارح له مندرجاً ضمن الجملة السرديّة، مثل: «كيف (تُقَرْشل) تُسدّي الصوف بـ«القرشال» وتحبكه خيوطاً بالنّاعورة اليدويّة (ص. 19).

ونلاحظ من خلال هذه الأمثلة أن التعريف القاموسيّ يتّسم في الغالب بالإيجاز، وذلك تجنّباً لكسر سياق السرد الحكائيّ، وإلهاء القارئ عن الحكاية بالتفسير. ولا يختلف هذا التعريف عما نجده في النص القاموسيّ من تقنيّات معتمدة في التعريف. والمثال الأول من ذلك ما نجده في تعريف «النبك»، إذ اعتمد ذكر الجنس الذي ينتمي إليه مُسمّى اللفظ المشروح في توظيف لثنائيّة «الجنس/ النوع»: «نوع من ثمار الزيزفون»، ثم اعتمد المقارنة القائمة على الحجم «أصغر منه بكثير».

والمثال الثاني ما نجده في تعريف «الحَمّار»، إذ اعتمد ذكرَ خصائص المسمّى:

- شكلا «صندوق»،
- مادةً «من الخشب»،
- مع إضافة مُعَيْنمات (sèmes) فرعيّة تحدّد: خصوصيّات الشكل «له أربعة أرجل/ مفتوح من أعلى»، وغايات استخدامه فهو مخصص لحفظ الحلويات «يرى ما بداخله من حلويات»، وفوائد تصميمه فهو مانع للسرقة «يُفْتَح ويُغْلَق تجنّباً للسرقة».

إن الغالبيّة العظمى من هذه التعريفات والشروح لا تقطع الحكاية أو تشتتها، بل هي جزء من حبكة الحكاية وتقنيّات القصّ وبناء فضاء التلقّي لدى القارئ، لأن الكاتب حين يوضّح خصائص الأشياء الواردة في الحكاية يسهم في تفصيل خصائص العناصر المكونة للحكاية، وهو ما يشكّل مكونات الفضاء الحكائيّ في ذهن القارئ، فيكمّل ما قد يبدو منها غامضاً ملتبساً أو غير مفهوم معلوم.

2- 2- الشرح غير المباشر أو الشرح الفني الإبداعيّ: تظهر هذه الطريقة شخصيّة المؤلّف الروائيّ المبدع. ويعتمد الأستاذ أبو العزم الفقرات السرديّة أو الوصفيّة التي تساعد القارئ على تبيّن دلالة المفردة دون أن يتدخّل تدخلاً مباشراً بشخصيّة المعجميّ القاموسيّ. فهو إذن يعتمد التعريف القاموسيّ الإبداعيّ الذي يكون فيه التعريف جملاً سرديّة أو وصفيّة تنهض بوظيفتين في الآن نفسه: نقل الحكاية وتعريف المفردات. ومن أمثلة ذلك:

- «وباء التيفوس»: «إذ أصبحت المقبرة مفتوحة على مصراعيْها إلى درجة أن الميّت لم يعد من المستطاع الاقتراب منه، فالخوف من لمس البقع الحمراء المنتشرة في الجسم يوحي بانتقال العدوى...» (ص. 24). ويمكن أن يستخلص القارئ وهو يقرأ الحكاية أن «وباء التيفوس» هو مرض معدٍ يصيب جسم المريض ببقع حمراء ويؤدي إلى الموت.

- «المكراك»: «لهذا كان يحتلّ «المكراك» مكانة هامة كأداة خشبيّة، ونحن نشدّه بقبضة اليد ونحكّه على اللوحة حكاً، ولم نكن نتردّد في نقشه وتلوينه بمختلف الألوان» (ص. 57). ويستخلص القارئ من هذا المقطع السرديّ الوصفيّ أن «المكراك» هو أداة من الخشب المنقوش الملوّن تستخدم في حكّ اللوحة في الكتّاب.

- «التحنيش»: «وبدأ يحنش وأنا أحملق في أصابعه وهو يرسم الكلمات بظهر القلم القصبيّ لتبدو واضحة على اللوحة البيضاء بفعل الصلصال...» (ص. 52).

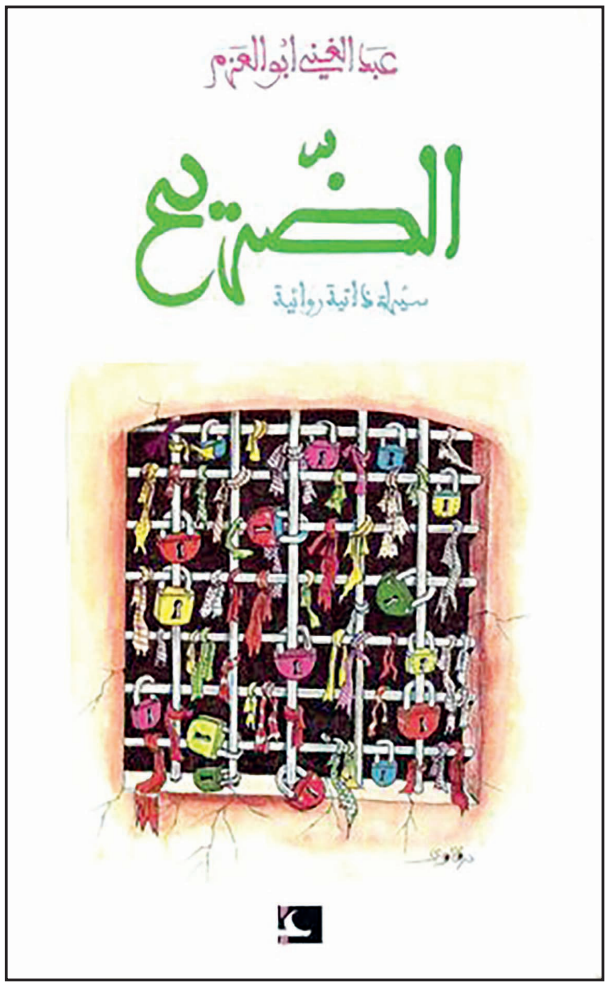

ويستخلص القارئ أن «التحنيش» هو رسم الكلمات بظهر قلم قصبي على اللوحة البيضاء.

إن الأمثلة عن التعريف القاموسيّ الإبداعيّ كثيرة، وتظهر أن المؤلف كان يسعى بوعي إلى أن يجمع في مؤلّفه الأدبيّ بين لذة الحكاية وفائدة الكتابة، وثنائيّة الإمتاع والإقناع ثنائيّة معروفة لطالما أثبت نقاد الأدب توظيفها في الأدب العربيّ.

ذكرنا آنفاً نماذج لعناية المؤلّف في «الضريح» باللفظ والمعنى، لكننا وقفنا مع هاتين الظاهرتيْن على ظاهرة أخرى طريفة هي توزيع المعجم الخاص في النص الروائيّ.

3-توزيع الحقول الدلاليّة في النص الروائيّ

وجدنا في الضريح مقاطع روائية كثيرة تحتوي على عدد من المفردات التي تنتمي إلى حقول دلاليّة (champs sémantiques) معيّنة. وتنهض هذه الحقول الدلاليّة بوظيفة توثيقيّة أساسيّة غايتها نقل مظاهر من اليوميّ (le quotidien) في الحياة المغربيّة التي عاصرها عبد الغني أبو العزم في طفولته وشبابه المبكّر في مدينة مرّاكش على وجه الخصوص. وقد اقتضى نقل اليوميّ بدقّة اعتماد الرصيد المعجميّ العاميّ المستعمل في الحياة اليوميّة، سواء أكان ذلك في الحوار (الذي غلبت عليه العاميّة) أم في السرد والوصف اللذين صيغا بلغة فصيحة تتخللها مفردات عاميّة.

ومن أهم الحقول التي رصدناها:

- حقل أسماء الملابس: من أمثلة ذلك: « وانسحبت من الغرفة بلباسي الدائم، قميص وسروال قندريزي فضفاض، ولم أكن أعرف معنى لما يعرف بالمنامة» (ص. 13)، «البس جلابتك» (ص. 14)، «وهو شاب وسيم بطربوشه الأحمر وأناقته المتجلية في قميصه الأبيض وفرجيّته وبلغته الصفراء، وجلبابه الأنيق» (ص. 17)، «تعتني أكثر من اللزوم بقفطانها ودفينتها وزينتها» (ص. 17)، «وقام بدوره دون استفسار بجمع حاجياته، وبالأخص الجلابيب الصوفيّة والسلهام وجلباب يوم زفافه والبلغة البيضاء والرزّة والكمّيّة» (ص. 25)، «أما الطربوش الأحمر والبدعيّة والفرجيّة فكانت في غاية الأناقة» (ص. 69، والتشديد في الأمثلة كلها من عندي).

- حقل المهن اليدويّة التقليديّة: من أمثلته: « كل ما كانت تتقنه هو صنع «الطاكية» (...) وهي تلاعب المخيط بين أصابعها بآليّة عجيبة» (ص. 18)، «أما أمي فهي بارعة في تفصيل الملابس التقليديّة من فساتين وأقمصة وسراويل، كما كانت تتقن طرز جلد الشكاير» (ص. 19)، «أما راوية فهي بارعة في سرد سريدات جملية، وطرز الأثواب الجميلة، أما جارة المنزل المقابل لنا (...) فكانت تتقن حبك الأطباق من الدوم الأخضر والسلال المزركشة بالإضافة إلى محك الحمام. أما الضاوية فكانت تتقن نسج الزرابي (...) وتعرف كيف (تقرشل) تسدّي الصوف بالقرشال وتحبكه خيوطاً بالناعورة اليدويّة» (ص. 18).

- حقل الآلات الموسيقيّة والإيقاعيّة: نذكر منها «القراقش» و«التعاريج» و«البندير» و«الدقة» و«الناي» و«الغيطة».

- حقل الألعاب: نجد لها حضوراً في الصفحات 103- 105. ومنها «ألبي» و«كرة الشراوط» و«السيكس» و«السركوس» و«لعبة «المَلا» و«لعبة حابا» و«لعبة الغُمَّيْضة».

ويضاف إلى هذه الحقول حقل المآكل وحقل العادات والتقاليد. وكل هذه الحقول كما أسلفنا جزء من الوظيفة التوثيقيّة التي تصوّر اليوميّ في مراكش. ومن المهم أن نشير إلى أن المؤلف لم يكن يكتفي بذكر الألفاظ المنتمية إلى هذه الحقول، بل كان يستخدم الأوصاف والنعوت التي تحدد الألوان والأحجام والخصائص، فتجعل هذه العناصر واضحة عند القارئ. غير أن المؤلّف سكت عن عدد كبير من الألفاظ التي لم يكن من الممكن فهمها من السياق والوصف ولا هو شرحها وفسّرها. ولعله يفكّر في طبعة أخرى للكتاب في أن يخص كل هذه الألفاظ المولّدة والعاميّة والمقترضة بقاموس موجز يشرحها في ذيل الكتاب.

الخاتمة

»الضريح» سيرة ذاتيّة روائيّة، أو رواية سيرَذاتيّة تفيض بالحياة وتنطق بالحركة. أقيمت على حوار بالضمائر لطيف، وعلى عناية بالحكاية ظاهرة، صبغت بلغة تجمع بين الفصيح في السرد والوصف والعاميّ المغربيّ في الحوار، وبمقاطع حكائية شعبيّة ممتعة. والكتاب بعمقه منفتح على قراءات مختلفة تُظهر بالإضافة إلى شخصيّة الروائيّ القصّاص شخصيّة اللغويّ المعجميّ.

هي سيرةٌ ذات تفتّحت أعينها على بؤس الحياة ومباهجها، وعلى حراك وطنيّ يطالب بالاستقلال والحرّيّة، وعلى طفولة شقيّة بالفقر سعيدة باللهو، تفتّقت فيها محبةُ الكاتب بالكتّاب والعلم، ونمى فيها شعور جارف بالظلم وإيمان قويّ بضرورة العدالة الاجتماعيّة. إنها الطفولة التي صنعت ملامح شخصيّة الأستاذ عبد الغني أبو العزم الفسيفسائيّة التي نراها اليوم: لغويّاً معجميّاً ومفكراً ومناضلاً وحقوقيّاً وأديباً وإنساناً.

الهوامش:

1 -أبو العزم، عبد الغني: الضريح (سيرة ذاتية روائية)، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1994.

2 -نميّز بين مصطلحين مختلفين هما «المعجميّ» من جهة و»القاموسي» من جهة ثانية. والأول يقابل في الفرنسيّة مصطلح (lexicologique) وهو صفة متعلّقة بالمعجم باعتباره مكونا نظريّاً من مكونات النظام اللغويّ يتكوّن من وحدات معجميّة، في حين يقابل الثاني مصطلح (lexicographique) أو (dictionnairique) وهو صفة متعلقة بالمعجم المدوّن المكتوب. ويطلق الأستاذ عبد الغني أبو العزم على الأول مصطلح «المعجماتيّ» وعلى الثاني مصطلح «المعجماتيّة ».

سمات المدخل المعجمي في معجم «الغني الالكتروني» لعبد الغني أبو العزم

دة. فتيحة قداف

جامعة ابن طفيل – القنيطرة

بين التراثية والتحديث

بين يدي الموضوع

يهدف هذا البحث في معجم الغني الإلكتروني إلى تبيان بعض مظاهر تعامله مع المادة المعجمية المبثوثة في المعاجم العربية القديمة، والتي شكلت دوماً أحد روافده الأساسية، بدليل انشغاله بها مادة وتأليفاً، وبحثه المتواصل فيها عن رؤيتها المعجمية ومنطلقاتها المذهبية، وبين الاحتكام لتصور نظري محدد الإواليات وسبل التحليل.

تقديم

يستهدف هذا البحث في خصائصه الإجرائية استجلاء الصيغ التي اعتمدها معجم الغني الإلكتروني في تحديد الكلمة الدخلة، وبناء مداخلها المعجمية وبلورة تعريفاتها، داخل نطاق الإجابة عن مجموعة من الأسئلة النسقية من قبيل:

- ما هي الخلفية النظرية التي تثوي خلف الصرح العام لمعجم الغني بكل مكوناته، سواء تعلق الأمر بتحديد الكلمة أو بناء مدخلها المعجمي أو بالمستويات اللغوية المعتمدة بشكل أساسي في التحديد والتعريف؟

- هل يكتفي معجم الغني بترصيد للمداخل؟ انطلاقاً من المتن المعجمي القديم ويسايره، أم إنه يعتمد رصيداً لغوياً يعكس العربية في مختلف تجلياتها، أم إنه يرتكز على رؤية مغايرة تتماشى مع المنجز في الدراسات المعجمية المعاصرة، بحيث يصبح بناء المعجم تعبيراً عن نظرية مجردة تشكل أرضية لتفسير مختلف التوجهات العامة والإجراءات العملية التي يرتضيها واضع المعجم.

إن من أهم انشغالات النظرية اللسانية المعاصرة تحديد العلاقة بين نظرية التفسير ونظرية التمثيل من خلال آليات دقيقة، بحيث يضطلع بالبرهنة عليها النحو الكلي من خلال مبادئه ووسائطه.

سنحاول في ما يلي من الفقرات مناقشة القضايا التي ترتبط بخصائص معجم الغني الإلكتروني خاصة تلك المرتبطة بمظاهره ذات العلاقة بين مادته والنهل من المادة المعجمية المبثوثة في أمهات المعاجم العربية القديمة والتي شكلت دوماً أحد روافده الأساسية، بدليل انشغاله بها مادة وتأليفاً وبحثه المتواصل فيها عن رؤيتها المعجمية ومنطلقاتها المذهبية، وبين الاحتكام لتصور نظري محدد الإواليات وسبل التحليل.

1- الخلفية النظرية في معجم «الغني» الإلكتروني بين المتن والنموذج

ثمة موجهات أساسية تكشف عنها خصائص معجم الغني الإلكتروني وتدعو للتفكير في مدى قدرة هذا المعجم على استيفاء الشروط الموضوعية لتلبية متطلبات تلك الموجهات، فهو من جهة يرنو لكي يكون امتداداً للمعاجم العربية القديمة ، باستحضار أهميتها وضخامة مادتها وتراكمها طوال مدة طويلة من الزمن، فضلاً عن كونه يسعى ليكون نقلة نوعية في مسارها التاريخي، بانتهاج سبل جديدة في التقديم واختصار للمادة اللغوية، ونزوع نحو ملاءمة الرصيد اللغوي للحاجيات الملحة على مستوى الاقتصاد وعالم المعرفة، بحيث أنه يعتمد ترتيباً ألفبائياً وحسب نطق الكلمات، كما يعتمد الشكل التام، ويرشد إلى البحث عن الكلمة بسهولة ويسر ودون عناء، كما يقدم شروحا بسيطة في متناول الجميع(1)، بالإضافة إلى تضمنه مئات الشواهد الأدبية، ويورد الكلمات المولدة والمعربة والدخيلة، ويخص المصطلحات الأدبية والحضارية والعلمية والتقنية بمواد خاصة، إلى جانب مئات الرسوم الإيضاحية من نباتات وحيوانات وأشياء.

يتضح من خلال خصائص الشرح التي يقدمها الغني الإلكتروني أن المرجعية التراثية حاضرة في تأليف هذا المعجم، بل تعتبر موجها أساسيا فيه، وكل الاقتراحات الترتيبية لا تستهدف تجاوز المتن المعجمي القديم، بقدر ما تسعى إلى تحسين صيغ تقديمه، وتمكينه من كفاية استعمالية، تتجاوز في كثير من الأحيان ما قدمته المعاجم العربية القديمة، في ظل التطور العميق التي يعرفه بناء المعاجم المعاصرة.

يمكن أن نستخلص من خلال المسار الفكري لمؤلف المعجم الأستاذ عبد الغني أبو العزم أنه كان أكثر تمثلاً للتأليف المعجمي العربي القديم، ومن أشد المنتصرين له، وذاك ما تفرزه دراساته لعدد من المعاجم العربية القديمة، ووقوفه عند مقدماتها(2)، واستجلاء منهجيتها المعتمدة والخطوط العريضة للأفكار والآراء المعالجة فيها، على رغم تنوع طبائع اللغة الواصفة التي تكون أحيانا مباشرة وذاتية، وتكون في أحايين أخرى ضمنية ومختصرة، وغالباً ما يتم السكوت عن الخلفية المحركة لها «(3). فالوعي بالمعاجم العربية التراثية بارز في فكر المؤلف، حيث يجعله ضمن أولياته المنهجية، كما يحدد، انطلاقا منه، بعض أهدافه العامة، التي يجليها في مظاهر تناول مواده؛

تبرز المظاهر العامة المعروضة سلفاً بعض جوانب المنحى التراثي في التأليف المعجمي عند عبد الغني أبو العزم، ومنها نعرج على طائفة من القضايا الفرعية التي استأثرت باهتمام الفكر المعجمي العربي القديم، وظلت محوراً أساسياً في تصور بناء المعجم العربي الحديث عند عبد الغني أبو العزم ومعاصريه؛

في إطار حركية المحيط اللغوي الحديث التي أفرزت مقاربات نظرية للغة بمستوياتها المختلفة على أساس علمي رصين، يتجاوز متن اللغة لاستحضار أبعادها الذهنية والتواصلية والاجتماعية، يتلمس المطلع على متن معجم الغني وسبل تنظيمه والمقدمة، التي سطرت لسماته، أثرا واضحا للدينامية العلمية المعاصرة، وتوجيهها في تصور بنية المعجم وفي ترتيب عناصره وتحديد غاياته الإجرائية، وهي دينامية توازن بين الاستفادة من الرافد التراثي والتطور التقويمي المعاصر لبنية المعجم؛

يطرح هذا التصور المضمر بين مكونات الصرح المعجمي لمعجم الغني الإلكتروني، عدة تساؤلات نظرية ترتبط بطبيعة الموجهات المنظمة للمعجم من نوع :

ما هي حدود المنظور التراثي في ظل سمات المعجم الحديث الذي يتبناه أبو العزم، ضمن وظيفية المعجم الجامعة للتصورين، التراثي والنظرية المعجمية الحديثة، التي تتوجه بالدرجة الأولى، حين عرض وتقديم المداخل، إلى خصائص المتلقي النفسية والاجتماعية والبيداغوجية.

1-1- حدود المنظور التراثي

لقد ناقش عدد كبير من دارسي المعجم مسألة «التراثية» في المعاجم العربية الحديثة(4)، وحاولوا البرهنة على قصور هذه المعاجم في استيفاء شروط الصناعة المعجمية الحديثة، أكدت دراساتهم أن المعاجم ذات المرجعية التراثية تجمعها سمات مشتركة، تظهر في بعضها، وتضمر في البعض الآخر، من أهمها و أبرزها :

- غياب نظريات لسانية معجمية واضحة المعالم، تسمح بإيجاد تصور معجم تطبيقي لها؛
- خضوع المعجم التراثي لنموذج تطبيقي متقارب في بنيته رغم الفروق الملاحظة بين نماذجه؛
- سيطرة المنهجية الاحادية الاتجاه في ترتيب المداخل بالمعاجم التراثية، واعتباره مفتاحاً أساسا لها.

قبل ترصيد الملامح التراثية في معجم الغني، شكلاً ومضموناً، نعرض لبعض التصورات التي ذهبت إلى تحديد مفهوم المعجم الحديث والمعاصر، من حيث الشكل والجوهر، مقترحة في ذلك حدوداً جديدة لخصائصه وسماته، ولعل النظر في معجم الغني وموازناته في هذه الاقتراحات يدفعنا للنظر في قدرة هذه الاقتراحات على صياغة نظرية معجمية لسانية لمعجم نسقي دقيق، تمثل لأغلب التعميمات المستخلصة في تفسير الظواهر اللغوية، وكذا مدى قدرة هذا المعجم، الغني، قيد الدرس، على تحقيق سبل هذا التحول النوعي في تطور بناء المعاجم ونظرياته؛

يرى محمد رشاد حمزاوي في دراساته «مقترح لوضع نموذج للمعجم العربي الحديث» من مقابلة للمعجم التراثي والمعجم اللساني الحديث جملة من الثنائيات(5)، من بينها اعتماد المعجم العربي القديم على الجمع في محتوى المعجم والوضع، وهو نظام ترتيب ما جمع

للمعجم من مداخل، وكيف ما اتفق، بينما ينطلق المعجم الحالي من المدونة أو المتن (corpus) ونظام الترتيب، باعتبارها قاعدة مرجعية للتصنيف والترتيب، وتتميز المدونة بكونها تستغرق مستويات لغوية « مقدسة وأدبية ورسمية قياسية ومكتوبة، كما أن زمانها ومكانها محددان، كما أن المدونة تتطلب حالة الاستقرار والتزامن(6).

أما فيما يخص نظام الترتيب فإن محمد رشاد الحمزاوي يميز، في إطار نظام الترتيب، بين أنماط متعددة، حيث نجد ضمنها: الترتيب الخارجي، يتم عبر تواتر الألفباء أو الاشتراك، والترتيب الداخلي والترتيب بالاشتراك والترتيب بالتجنيس(7)؛

فالترتيب الخارجي هو ترتيب ألفبائي اشتقاقي، يرتكز على أ ب ت، يبدأ بالثنائي أو الثلاثي، يتبعهما في المدخل نفسه ما يشتق منه، رباعياً وخماسياً وسداسياً، بغاية المحافظة على وحدة الحقل الدلالي، وعلى علاقاته المترابطة، أما الترتيب الخارجي فالمفردات تكون فيه غير مفردة بالضرورة، إذ يمكن أن ترد مركبة أو معقدة إزاء ذلك؛

أما الترتيب الداخلي فهو كل ما يأتي من نصوص متنوعة بعد المدخل، فيما اصطلح عليه القدماء بالشرح والتفسير، ويكون ترتيباً بالاشتراك من قبيل: العين: منبع الماء، جارحة النظر، عين القوم، سيدهم، خالصة، الجاسوس...، أما الترتيب بالتجنيس فهو الذي يرتب المعنى وفق كل مدخل(8).

من جهة أخرى، تطرح أمام المعجم الحديث مسألة هوية المداخل، إذ يمكن أن تكون عربية عامة أو خاصة أو قديمة أو حديثة، كما يمكن أن ترد أعجمية أو معربة أو دخيلة أو حديثة، وتعد هذه القضية من القضايا التي استأثرت بالاهتمام المعجمي العربي، تناولها معجميو العربية بنوع من التفاضل، فمنهم من أهملها كلية، حال ما فعله جامعو الرسائل، ومنهم من اعتنى بها، باعتبارها تمثل رصيداً لغوياً استعمالياً لا يمكن تجاوزه، حال ما فعله الجواليقي مثلاً في معجمه وغيره(9).

يعرض محمد رشاد حمزاوي بعد ذلك إلى طبيعة الخطاب المعجمي، العام والخاص أو المختص، بين النمط التأصيلي والمزامن والتاريخي المتطور، حيث أكد الباحث على أن خطاب المزامنة « كان ومازال نخبوياً في الدراسات النظرية والتطبيقية العربية، وليس له معجم عربي واحد مزامن إلا ما قل وندر، سواء أكان عاماً أم متخصصاً وتفترض المزامنة أن يعنى بخطاب العربية في مكان وزمان محددين، فالمزامنة تحمي المعجم العربي من الوقوع في التداخل اللغوي والموسوعية والفوضوية وتعكس الفكر في مرحلة مستقرة لازمة «(10).

على الرغم من هذه الانتقادات الصريحة لم يرفق رشاد الحمزاوي ملاحظاته العامة أي مقترح تطبيقي، بل جعل توقعاته عبارة عن توصيات، شأنه شأن ما ذهب إليه فكر المجامع اللغوية والندوات العامة.

في إطار التصور نفسه، ينطلق محمد عبد العزيز عبد الدايم في كتابه حول النظرية اللغوية في التراث العربي(11)، من أهمية التراث العربي في تعزيز دعائم البحث اللغوي المعاصر، وبؤرة اهتمامنا في الكتاب تكمن فيما تضمنه الفصل السادس الذي يقف عند الجهات المختلفة للنظرية المعجمية في التراث العربي، حيث يميز بين:

نظريات الجمع والتصنيف المعجميين ونظريات التحليل الدلالي والبناء المعجمي العام. وذلك عبر المحاور الفرعية الآتية:-1 طبيعة المعجم ومشكلته؛

-2 الظاهرة المعجمية؛

-3 نطاق النظرية المعجمية؛

-4 النظرية التركيبية للمعجم؛

-5 تركيب المعجم؛

-6 نظريات الجمع والتصنيف المعجمي والتحليل الدلالي؛

-7 نظرية جذور الاشتقاق الصغير، و نظرية سلسلة الجذور. كما تناول الأستاذ عبد الدايم عبد العزيز مسألة التنظير المعجمي ضمن سياق عام، يتضمن كل مستويات الدرس اللغوي بشكل متناغم مع التنظير في اللسانيات المعاصرة، الذي يمتح من أصول النظرية العلمية العامة، وفيه يقدم ابن مراد تصوره بتحديد نطاق النظرية المعجمية، الذي اعتبر فيه أن من أوليات البحث المعجمي واجهتان:

- تركيب خاص بالمدخل، ويقصد به ترتيب المفردات التي ترد تحت كل مدخل من مداخل المعجم؛

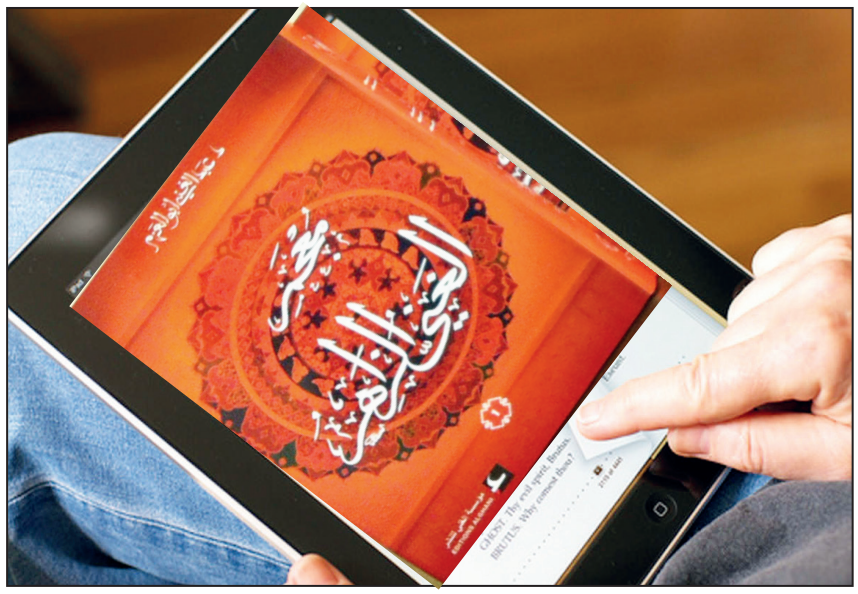

- تركيب عام للمعجم، وهو يهم تركيب المداخل في معجم واحد، يهم أثر جميع مفردات كل مدخل، ما دامت المهام الذي تضطلع بها النظرية المعجمية، ضمن أولوياتها، الوقوف عند بناء المعجم اللغوي بعامة، أي بناء المداخل من مفردات، وبناء المعجم العام من مداخل، أي تحديد بنية المعجم على نحو شامل وواضح ودقيق(12).

من جهة أخرى انبرى الباحث لرصد جملة من الظواهر المرتبطة بالمعجم وبالنظرية المعجمية كتصنيف الدلالات حيث ميز نموذج التصنيف وفق معيار اللغة والواقع، ليخلص الباحث إلى أن موقف المعجم من العلاقات الدلالية المختلفة يلزم معه بيان ما يسجله المعجم في جذوره من علاقات دلالية، وما لا يسجله حيث يسمح الجذر المعجمي في التصور التراثي ببعض العلاقات الدلالية ولا يسمح ببعضها.

بعد هذه الملاحظات شرع في مناقشة جانب آخر من جوانب النظرية المعجمية العربية القديمة، ويتعلق الأمر فيها بنظريات الجمع والتصنيف والتحليل الدلالي، حيث يناقش جملة من الفرضيات الأساسية، أولاها فرضية الاستعمالين العام والخاص أو المستوى اللغوي، وفيها يشدد الباحث، في خلاصة دقيقة، على أن اللغويين العرب جمعوا ما أتيح لهم من مادة لغوية وفرقوا فيما جمعوه بين ما كان لغة مشتركة، وما كان لغة خاصة، فلم يهملوا الفرق بينهما ورأوا ضرورة الفصل بين هذين المتقابلين، ما دام تصور المعجم العربي يرتبط بدائرة اللغة، التي تشمل الأحياز التالية: -المهمل استعمالاً؛

- المحظور صوتياً؛
- اللغة المستعملة.

وفي نطاق اللغة المستعملة الممكن إدراجها في المعجم، باعتبارها إما لغة من اللغات المردودة، أو من اللغات المقبولة، وتشمل اللغة المشتركة والمطردة والشاذة.

وعلى إثر هذا العرض الشامل لقضايا المعجم يناقش الباحث نظريات التركيب المعجمي في النظرية اللغوية العربية (13)، ويذكر منها: -1 نظرية الجذر المفرد، وتضم نموذج التركيب الشكلي للجذر (النموذج الدلالي الجزئي النموذج الدلالي الكلي للجذر؛

-2 السلسلة المعجمية أو سلسلة الجذور، وهو الذي يستغرق نظام التقليبات، ويضم نموذجين:

-نموذج السلسلة الشكلية أو الصوتية للجذور؛

- نموذج السلسلة الدلالية للجذور (جذر الاشتقاق الأكبر)

ترتكز مقاربة ابن مراد، بشكل أساس، على إعادة قراءة التراث اللغوي العربي القديم، اعتماداً على آليات إجرائية مستمدة من النظرية اللغوية المعاصرة، مع أن هذا المعنى يطرح عدة مشاكل إبيستيمولوجية، ويشكل جسرا للكثير من الإسقاطات التي لا يمكن أن نجد لها عمقاً تفسيرياً في واجهتين: واجهة تراثية وواجهة النظريات المعاصرة.-2 السمات النمطية في تصنيف مداخل معجم «الغني» لعبد الغني أبو العزم

في ظل هذا التنوع التصوري لطبائع بناء المعجم الحديث، وانطلاقاً من التوجيهات المعجمية السالفة نعرض فيما يلي، بعض القضايا المتناولة في المعجم العربي، وخاصة وضع المعاجم اللغوية ومسألة المداخل، ثم نخلص إلى بعض السمات الأساسية التي تهم بناء المداخل في معجم الغني الإلكتروني، باعتباره واحداً من الصيغ المعجمية التي حاولت، بطريقة أو بأخرى، تمثل الواجهتين معاً، في بنائها، ولذلك سنعتمد في هذا العرض على مجموعة من الملاحظات المستخلصة من عمل عبد الغني أبو العزم، حيث اتضح من خلال الإطلاع الأول على المتن المعجمي لمعجم الغني أنه لا يختلف عن المعاجم العربية، حيث يقارب المادة المفردة أو الكلمة المعجمية، في إطار تعدد السمات، بنية كبرى، ترتبط بالنظام العام للمعجم، الذي يشكل الترتيب الأساس المعتمد فيه وعماده، وبنية صغرى تتعلق بالمحددات التي تسهم في تعريف الكلمة من خلال رصد سماتها المقولة، والإعرابية، والدلالية.

من الملاحظات المبدئية التي تجدر الإشارة إليها أن معجم الغني الإلكتروني، اعتمد على واقعية التداول في جمع المدونة، فالكلمة تأخذ صفة المدخل المعجمي على أساس صفتها في المتداول، والتي تتنوع باختلاف أحوالها الصرفية، والصوتية، والتركيبية، ويعلل واضع المعجم ذلك بكونه» معجماً وظيفياً عملياً، يرشد إلى البحث عن الكلمة بسهولة ويسر، ودون عناء»(14)، ولاشك أن منهج اليسر، واستهداف السهولة في البحث شكلت الأرضية التي حددت طريقة الترتيب، فقد اختار الغني نظاماً ألفبائياً دون أن يكترث بالجوانب الاشتقاقية التي تربط الكلمات بعضها ببعض، مما جعل المداخل المعجمية لا ترتبط في ترتيبها العام أي خلفية تصريفية..

ملحوظة: هذا جزء فقط من دراسة طويلة...

المصادر والمراجع:

- أبو العزم، عبد الغني (2001) : معجم الغني، قرص مدمج، حقوق شركة صخر ميديا لبرامج الحاسب.
- أبو العزم، عبد الغني (2007) : «مقدمات المعاجم العربية القديمة : رؤية معجمية أم مذهبية ؟». مجلة الدراسات المعجمية، العدد السادس.
- الحمزاوي، محمد رشاد (2007) : «مقترح لوضع نموذج للمعجم العربي الحديث»، مجلة الدراسات المعجمية، العدد السادس.
- الحمزاوي، محمد رشاد(1991) : «طريقة ابن منظور في تحرير مادة اللسان»، المعجم العربي إشكالات ومقاربات، منشورات بيت الحكمة.
- عبد الدايم، محمد عبد العزيز (2006): «النظرية اللغوية في التراث العربي»، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1.
- نصار، حسين :(1956) المعجم العربي، نشأته وتطوره، القاهرة، ج.1، دار مصر للطباعة.

الهوامش:

(1) ينظر النماذج المقدمة في هذا العمل على سبيل التمثيل لا الحصر، مثلا مادة «ضرب» ومادة «رأس».

(2) أبو العزم، عبد الغني ، «مقدمات المعاجم العربية القديمة رؤية معجمية أم مذهبية»، مجلة الدراسات المعجمية، عدد 6، ص. 23.

(3) نفسه، ص.23.

(4) ينظر على سبيل المثال، حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، الجزء الأول.

(5) الحمزاوي، محمد رشاد، مقترح لوضع نموذج للمعجم العربي الحديث، مجلة الدراسات المعجمية، ص.67.

(6) نفسه، ص. 70.

(7) نفس، ص.71.

(8) نفسه، ص. 72.

(9) ينظر مثلا، الجواليقي، في مقدمة معجمه.

(10) الحمزاوي، محمد رشاد، طريقة ابن منظور في تحرير مادة اللسان، المعجم العربي إشكالات ومقاربات، ص. 11-95.

(11) عبد الدايم، محمد عبد العزيز ، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص. 255.

(12) عبد الدايم، محمد عبد العزيز، م.ن. ص. 257 (بتصرف).

(13) م.ن. ص. 266-268.

(14) أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني ملاحظات عامة

الأستاذ عبد الغني أبو العزم من آخر سدَنة المعبد اللغوي العربي

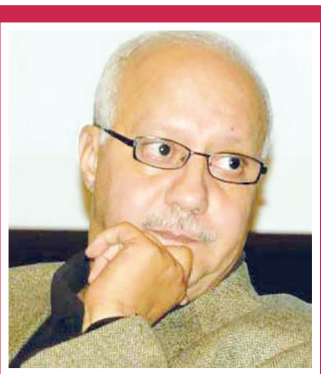

د. عبد الإله بلقزيز

اسمحوا لي، أيها القراء أن أقول كلمة في هذا المعجم الذي أرهق بدنَ صديقنا عبد الغنيّ وهدَّ قُواه قبل أن يُخرجه إلى الوجود، من دون تزيُّد منّيَ أو مُداهَنة أو محاباة، أضع معجم الغنيّ الزّاهر في مرتبة أمّهات المعاجم العربيّة: لسان العرب لمحمّد بن منظور، والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزبادي، وتاج العروس لمرتضى الزّبيديّ، ومحيط المحيط للمعلم بطرس البستانيّ، والمعجم الوسيط الصّادر من مجْمع اللغة العربية في القاهرة، والمعجم للشيخ عبد الله العلايليّ، (الذي وُئِدَ في الحرب اللّبنانيّة فلم يصدر من أجزائه الأربعة والعشرين إلا أجزاء أربعة فيما احترقت بنيران الحرب آلاف الجُذاذات التي كان قد هيّأها الشيخ العلايليّ لإصدارها في بقيّة الأجزاء).

لا أجامل صديقي عبد الغنيّ حين أهنّئ جَهْدَه ومعجَمَه باحتلال السُّدّة والسُّؤدُد، وبوضعي إيّاه في مَقام كبرى المعاجم في تاريخ الثّقافة العربيّة، فهو الأعْراف بما تعنيه لي المعاجمُ، وباتّصالي اليوميّ بأمّهاتها، ووَلعي بلغة الضّاد؛ معانيها ونحوها وصرْفها ووجوه التطوّر والتّجديد فيها؛ الأمرُ الذي يبرّئ شهادتي في مجمعه من تهمة الإرجاف في ما ليس لي عليه دليل؛ فأنا في حكميَ هذا لا أهْرِفُ بما لستُ أعرف، ولا أخوضُ في شأنٍ هو غنيّ بِمَعْبَدٍ وأنا عنه بمنأى.

إنّ معجماً يحوي خمسةً وستين ألف مُدْخل لغويّ، لمعجم الغنيّ الزّاهر، لهو حقّاً معجم شامل. وللمرء أن يتخيّل الكَمَّ الهائل من المفردات التي تتولّد من كلّ مُدخل وتنتسب إلى جذره. وإلى ذلك زخر المعجم بآلاف الاقتباسات والنّقول، من المصادر العربيّة القديمة والحديثة، لبيان وجوه الاستخدامات المختلفة والمتباينة للألفاظ، ووجوه التبدُّل في معانيها والدّلالات. وفي الاقتباسات هذه كان الأستاذ أبو العزم يَدَّخل في غميس التّعبير الأدبيّ العربيّ، قديمه والحديث، لاستصفاء ما يُبْلِغ في التّمثيل للمُراد من معاني الكلام في اللّسانِ العربيّ، حتى لكأنّ المعجم بات، بهذه الطريقة، سِفْراً من منتخبات الكلام المطرّز البديع. فعل ذلك على طَريقة الكبار الذين سبقوه في هذه الباب؛ على طريقة الجرجانيّ، والزمخشريّ، وابن منظور، والفيروزباديّ، والزّبيدي، وفارس الشدياق، وبطرس البستانيّ، وشيخ العربيّة الكبير الشّيخ عبد الله العلايلي، فأضاف إليهم جميعهم.

اسمحوا لي أن أقول إنّ عبد الغني أبو العزم، آخر سَدَنة المعْبد اللّغويّ العربيّ وحُرّاس اللّسان العربيّ في هذا البلد، كما في مجمل الوطن العربيّ، وما من ضَهيٍّ له، في هذا الباب، إلاّ القليل من اللّغويّين والمعجميّين العرب ممّن اختاروا ركوبَ الصّعب والاصطبار على مَشاقّة وأثقال حمْله. لذلك يليق به أن يفْجر الوطنُ، رمّةً، به على نحو ما تَفْخر به المحافلُ العَلَميّة والأكاديميّة في الوطن العربيّ قاطبَةً، وعلى نحو ما سَتفخر به الثقافة العربيّة في الحاضر والمستقبل. وهو وإنْ لَقِيَ الاحتفاءَ العلميَّ به في جامعات مغربيّة عدّة، نظيرَ تَكريمه في جامعات ومنتديات عربيّة، فَسَدَّدَ الباحثون ما عليهم من دَيْن يدينون به، فهو لم يَلْقَ، من أسف شديد، أيَّ تكريم رسميّ له حتّى يوم النّاس هذا بحسبانه واحداً من علماء المغرب ورجالات الأفذاذ ؟.

إني لأهتبلُ المناسَبَةَ الطيّبة، التي أتاحها لنا السيّد العميد الصديق عبد القادر كنكاي، للتّعريج على الإنسانيّ العميق في وِجدان الأستاذ أبي العزم ومَسْلكه. عبد الغنيّ رجُل ذَلَق لسانُه وَطَهُرَ جَنانُه حتى لتكادُ أن تخاله وليّاً من الأولياء. لا مكان في قاموسه اليوميّ لمفردات القدْح والتّشنيع ونَقِّ النُّقّاف؛ وديعٌ هو مع الأصدقاء والنّاس والرّفاق، سَموحٌ لا يَضْغَنُ على أحد ضِغْناً، ولا على أحِد يَجِدُ الموجدة بل يَجد به الوجْد إنْ هَو استحقّه. طفلٌ كبيرٌ هو عبد الغني؛ في بَراءته وعفويّته وبلّوريّة دخيلته. ما رأيْتُهُ يوماً يحتقد على أحد حتّى مَن أساء إليه. يَعِفّ لسانُه والقلبُ عن مقابلة الخطيئة بالخطيئة؛ يتعالى عن الألم وكأنّ ما به من الكلام شيئاً وإن أثخنَ هذا وغارت في النّفس جراحاتُه. هكذا هي سيرتُه مع النّاسَ والأصدقاء. لذلك ظلّ يعيش في سلام داخليّ مع النّفس، وظل عنفوانُ مَقامه يعلو عند مَن يحفظون له المودّة ويَرْعَون الوفاء. مدرسةٌ هو في النّظافة الأخلاقيّة والمبدئيّة ونكران الذّات؛ يعرف قدْرَهُ العالي ولا يباهي به، أو يَلْبَسُه من الشعور به مقدارُ ذَرَّة من كِبْر أو عُجْب. كلُّ ما يأتيه بجَهْده وكَدِّه من جميل الأعمال هو عنده في حكم أقل الواجب الذي عليه، من غير أن يَسْتأتيَ من وراء تأديّته شُكورا. من معدن نفيس هو، نفاسَةَ محْتده العريق، وهو من قلّة قليلة ظلّت تُمْسكُ بالجمْر، بعد سنوات الجَمْر، فلم تَكُ من الذين عمّا آمنوا به أعرضوا وانصرفوا وولّوا الأدبار. ليس من شأن شخصيّ عنده ينقفل عليه انقفالاً؛ شأنُهُ الشخصيّ هو الشأن العامّ، وشأنُه العامّ شأن مغربيّ وشأنٌ عربيٌّ لا ينفصلان. وهو، في انهمامه بهما، يتحرّك بين ضفاف السّياسة والثقافة مثلما يتحرّك بين غرفتين في المسكن الواحد. شجاعٌ هو في خياراته، لكنّه واقعيٌّ في تدبيرها؛ يُدرك الفوارق بين الواجب والممكن لأنّه متشبّع بثقافة تاريخيّة وسياسيّة رصينة تجنّبُه من مغبّة ركوب مرْكبيْ العدميّة والرومانسيّة الممجوجتيْن.